Journal of Scientific Research in Arts
ISSN 2356-8321 (Print)
ISSN 2356-833X (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/?lang=en

# The nation-state: a philosophical vision

**Gamal Abu Farha**
Suez University - Faculty of Arts
gamalabufarha68@yahoo.com

**Article History**
**Received: 1 February 2024, Revised: 3 March 2024**
**Accepted: 5 March 2024, Published: 1 May 2024**
**DOI: 10.21608/JSSA.2024.267131.1609**

https://jssa.journals.ekb.eg/article254698.html

**Volume 25 Issue 2 (2024) Pp.1-35**

**Abstract**:

The fluidity of mobility and the ease of localization, despite the multiplicity of colors and religions, represented the natural state of man that preceded the establishment of the nation-state; the nation-state may even be on its way out to one degree or another. Actual national sovereignty has been diminished in favor of subordination to the global administration (great countries, international associations, organizations and bodies, multinational corporations, cross-border media, etc.).

We are heading towards a new world order if we have not already fallen into its captivity, and if the intellectuals and sincere do not take the initiative with courage and sacrifice to formulate this system to maximize the opportunities for agreement and advancement and to prevent the resulting defects and grievances, it will be difficult to rectify this whenever stakeholders sculpt the features of this system in detail.

This study aims to break free from the intellectual postulates related to the problem of the homeland, citizenship, and patriotism and to reconsider this problem through an ambitious philosophical view that attempts to answer the following questions: What is the homeland? Who is responsible for setting the geographical borders of the homeland? What is the accepted basis for that? What is the bond of citizenship that deserves to bind a group of people? When is the nation-state in crisis? What is the desired nation-state?

***Keywords***: **National, Citizenship, Global Government, Global Citizen, Stateless.**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾

العنكبوت: ٢٠

# الدولة الوطنية.. رؤية فلسفية

**أ.م.د/ جمال الحسيني أبوفرحة**

**أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد بكلية الآداب جامعة السويس**

gamalabufarha68@yahoo.com

**الملخص:**

كانت سيولة التنقل، وسهولة التوطن، رغم تعدد الألوان والأديان تمثل الحالة الطبعية للإنسان التي سبقت قيام الدولة الوطنية؛ بل لعل الدولة الوطنية في طريقها للغروب بدرجة أو بأخرى؛ فلقد تقلصت السيادة الوطنية الفعلية لصالح التبعية للإدارة العالمية (الدول الكبرى، الجمعيات والمنظمات والهيئات الدولية، الشركات متعددة الجنسية، الإعلام العابر للحدود....الخ).

فنحن نتوجه نحو نظام عالمي جديد، إن لم نكن قد وقعنا في أسره بالفعل، وإن لم يبادر المثقفون والمخلصون بشجاعة وتضحية لصياغة هذا النظام للاستفادة القصوى مما يتيحه من فرص اللقاء والارتقاء، ولاتقاء ما يتمخض عنه من عوار ومظالم؛ فسيصعب تدارك ذلك كلما نحت أصحاب المصالح ملامح هذا النظام بتفاصيله.

وتهدف هذه الدراسة إلى التحرر من المسلمات الفكرية المتعلقة بإشكالية الوطن والمواطنة والوطنية وإعادة النظر إلى هذه الإشكالية من خلال نظرة فلسفية طموحة تحاول الإجابة عن التساؤلات التالية: ما الوطن؟ ومن المنوط به تحديد حدود الوطن الجغرافية؟ وما الأساس المقبول في هذا التحديد؟ وما رابطة المواطنة الجديرة بأن تربط بين مجموعة من البشر برباط المواطنة؟ ومتى تكون الدولة الوطنية مأزومة؟ وما الدولة الوطنية المنشودة؟

**الكلمات المفتاحية: الوطنية، المواطنة، الحكومة العالمية، المواطن العالمي، البدون.**

## المقدمة

كانت سيولة التنقل، وسهولة التوطن، رغم تعدد الألوان والأديان تمثل الحالة الطبعية للإنسان التي سبقت قيام الدولة الوطنية؛ بل لعل الدولة الوطنية في طريقها للغروب بدرجة أو بأخرى؛ فلقد تقلصت السيادة الوطنية الفعلية لصالح التبعية للإدارة العالمية (الدول الكبرى، الجمعيات والمنظمات والهيئات الدولية[١]، الشركات متعددة الجنسية، الإعلام العابر للحدود....الخ)[٢]. وهو ما يتجلى من الانمحاء المتزايد للفوارق بين البرامج السياسية في الدول المختلفة.

فنحن نتوجه نحو نظام عالمي جديد[٣]، إن لم نكن قد وقعنا في أسره بالفعل[٤]، نظام تحكمه حكومة عالمية، وإن لم يبادر المثقفون والمخلصون بشجاعة وتضحية لصياغة هذا النظام للاستفادة القصوى مما يتيحه من فرص اللقاء والارتقاء، ولاتقاء ما يتمخض عنه من عوار ومظالم[٥]؛ فسيصعب تدارك ذلك كلما نحت أصحاب المصالح ملامح هذا النظام بتفاصيله[٦]. وهو ما يهدد مستقبل البشرية والذي أوشك أن يغدو

(١) في عام ٢٠١٥م أعلن الأمين العام للأمم المتحدة عن مبادرة عالمية معنونة بـ "التعليم أولا" وقد عدت هذه المبادرة أن تعزيز (المواطنة العالمية) من أولوياتها.

https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/2015/09/%D9%82%D8%A7%D8%AF%D8%A9

(٢) انظر: تشومسكي: النظام العالمي القديم والجديد، ص ٢٦٣: ٢٦٥.

(٣) فـ "بينما كانت القذائف تمطر سماء بغداد والبصرة، وعلى رءوس الجنود الإلزاميين المختبئين في حفر بائسة في صحراء جنوب العراق، أعلن الرئيس بوش أن الولايات المتحدة ستقود (نظاما عالميا جديدا) تتوحد فيه مختلف الأمم على مبدأ مشترك يهدف إلى تحقيق طموح عالمي لمصلحة البشرية، عماده: السلام، وأركانه: الحرية، وسيادة القانون". السابق، ص١٤.

(٤) يقول تشومسكي: "أصبحت هناك حكومة فعلية للعالم تسعى إلى تلبية مصالح الشركات العابرة للقوميات والمؤسسات المالية التي تعمل بدورها على الهيمنة على اقتصاد العالم". السابق، ص٢٧٩.

(٥) فالأثرة لا حدود لها في ظل هيمنة الدول العظمى على ما دونها من دول: فبدءا من وضع الحدود التي تتيح لها الاستئثار بالثروات الأعظم، ثم تقسيم دول العالم إلى دول غنية ذات أعداد من السكان صغيرة، ودول فقيرة ذات أعداد من السكان كبيرة، فلا تتوفر مقومات الاستقلال والنهضة لا لهؤلاء ولا لهؤلاء. ثم حرمان هذه الدول الضعيفة من: زراعة المحاصيل الاستراتيجية، واستخراج ثرواتها البحرية بحجج متجددة متعددة، وحرمانها من تصنيع كثير مما تملكه من محاصيل وخامات، ثم إجبارها على تصدير منتجاتها غير مصنعة بأزهد الأسعار؛ حتى لا يبقى أمامها لسد كثير من احتياجاتها الحقيقية (والمصطنعة بالخداع أو الإكراه أو الرشوة) سوى الاستيراد من الدول العظمى وبالسعر الذي تحدده الدول العظمى. وهكذا تصبح دول العالم مدانة، أو على الأقل عالة على الدول العظمى؛ وهكذا يتم الإيقاع بها في فخ الاستعمار الجديد. وأخيرا يتم التعامل مع مواطنيها باعتبارهم عالة وقد أغنت عنهم الآلة، وتصوغ حينئذ في حقهم دعوات الإبادة والاكتفاء من البشر بمليار (المليار الذهبي) واعتبار سكان الدول الضعيفة نوعا متدنيا من المخلوقات لا يصلح إلا أن يكون حقلا للتجارب العلمية، ومصدرا لتجارة الأعضاء البشرية، بل مادة معلبة لآكلي اللحوم البشرية؛ فما لا نفع منه يكون النفع فيه!

(٦) "ليس هناك من تجاوز في وصف النظام العالمي قديما وحديثا بأنه نظام قرصنة عالمية منظمة". السابق، ص ١١.

-إن لم يكن قد غدا بالفعل- بيد أقلية من أصحاب رؤوس الأموال(٧): يخدمهم سياسيون، وتحميهم جيوش، ويهلل لهم إعلاميون، ويسير في ركابهم طامعون وغافلون ومحبطون(٨)!

**مدخل إلى الدراسة**

**١. أهداف الدراسة.**

تهدف هذه الدراسة إلى التحرر من المسلمات الفكرية المتعلقة بإشكالية الوطن والمواطنة والوطنية وإعادة النظر إلى هذه الإشكالية من خلال نظرة فلسفية طموحة.

**٢. أسئلة الدراسة.**

ما الوطن؟ ومن المنوط به تحديد حدود الوطن الجغرافية؟ وما الأساس المقبول في هذا التحديد؟ وما رابطة المواطنة الجديرة بأن تربط بين مجموعة من البشر برباط المواطنة؟ ومتى تكون الدولة الوطنية مأزومة؟ وما الدولة الوطنية المنشودة؟

**٣. منهج الدراسة وضوابطها.**

لقد اتبعنا في هذه الدراسة عدة مناهج منها: المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والنقدي، والاستنباطي.

**٤. تقسيم الدراسة.**

تتكون هذه الدراسة من: مقدمة، ومدخل للدراسة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع. وكان المبحث الأول بعنوان: مفهوم الدولة الوطنية، والمبحث الثاني بعنوان: الدولة الوطنية المأزومة، المبحث الثالث بعنوان: الدولة الوطنية المنشودة.

## المبحث الأول: مفهوم الدولة الوطنية.

**الوطن:** مكان وأناس: مكان له حدود، وأناس تجمعهم رابطة وطنية.

**ولكي ينشأ الوطن** لابد من اتفاقين أساسيين: أحدهما خارجي والآخر داخلي، فالخارجي هو الاتفاق حول حدوده مع حدود الأوطان الأخرى المجاورة، والداخلي هو الاتفاق حول رابطة المواطنة المعتد بها بين أفراده. ونقصد بالمواطنة هنا الصفة التي تمنح للمواطن والتي بموجبها تتحدد واجباته تجاه وطنه وحقوقه فيه.

(٧) يقول تشرشل: "يجب أن تؤتمن حكومة للعالم تعبر عن الأمم التي لا ترجو لنفسها أكثر مما بحوزتها....". السابق، ص ١٠. فهو يدعو لحكومة عالمية عنصرية تديرها الدول الغنية فقط.

(٨) يقول نعوم تشومسكي: "إن الرجال الأغنياء يتبعون الحكمة..... التي تقول: (كل شيء لنا ولا شيء للآخرين)، وعادة ما يستخدم هؤلاء سلطة الدولة لتحقيق غاياتهم". السابق، ص١١. ويقول: "السلطة اليوم تتماهى في وسائل الإنتاج وفي التبادل التجاري ووسائل الاتصالات والمواصلات، ومن يملك هذه الوسائل يتحكم في حياة الدولة؛ حتى لو بقيت الأشكال الديمقراطية". السابق، ص١٢٦.. ويقول جون ديوي: "إن السياسة هي ظل المال الذي يخيم على المجتمع". السابق، ص١٢٦.

**فمن المنوط به تحديد حدود الوطن الجغرافية؟ وما الأساس المقبول في هذا التحديد؟** حتى الآن لا توجد إجابة شافية على هذين السؤالين! ولما كان تحديد هذه الحدود غير مبرر التبرير الكافي كان التنازع حولها واقعا مرة ومحتملا أخرى، ولعله لا يكاد يوجد قطران متجاوران دون مشكلة ترسيم الحدود بينهما.

أما **الرابطة التي تربط مجموعة من البشر برباط المواطنة**: فهل هي:

- الاشتراك في الانتماء الموروث: العرقي أو اللغوي أو الديني أو الثقافي؟
- أم الاشتراك في المحل الذي عاش فيه الآباء والأجداد وإن اختلفوا عرقيا ودينيا وثقافيا؟
- أم الاشتراك في محل الولادة؟
- أم الاشتراك في المحل الذي يحب الإنسان العيش فيه؟
- أم الاشتراك في المحل الذي يشعر نحوه الإنسان بالعرفان بالجميل لما قدمه ويقدمه له؟
- أم الاشتراك في الوقوع في أسر نظام سياسي معين؟
- أم الاشتراك في ميثاق للإخلاص لمجموعة من المبادئ وتبادل للوعود بتقديم ودعم بعض الالتزامات؟

لا شك أن دستور كل دولة وقوانينها هو الذي يحدد هذه الرابطة[٩]، أما كونها جديرة بالاعتبار أم لا.. فهنا تختلف الآراء:

- فالقول بأن رابطة المواطنة الجديرة بالاعتبار هي **الاشتراك في الانتماء الموروث: العرقي أو اللغوي أو الديني أو الثقافي** وأنه يجب أن يكون لكل أصحاب انتماء وطن يسعهم[١٠] ففيه نظر:

وذلك أن لكل إنسان عدة انتماءات: فمن يتشاركون في الدين قد يختلفون في اللغة، ومن يتشاركون في اللغة قد يختلفون في العرق المظنون...الخ.. ومن ثمة فإن الشعور بوحدوية الانتماء هو شعور زائف يفتت الوطن أيا كان مفهومه واتساعه مرات متتالية عندما يتم تسليط الضوء في كل مرة على انتماء واحد من انتماءات عديدة لازمة لكل جماعة إنسانية. وبهذا يتَبين عدم جدارة هذه الرابطة للمواطنة بالاعتبار، وخطورتها من جهة أخرى.

هذا فضلا عن أن جعل الانتماء العرقي هو رابطة المواطنة يحوّل الانتماء الوطني إلى معطى مفروض، وتصير المواطنة رابطة قرابة أكثر مما هي رابطة سياسية، ومن هنا يبدأ الحديث عن "أهلنا" لا عن "شعبنا". وتحديد الانتماء العرقي مشكل؛ فتحديد النسب إلى الآباء القدامى مسألة يستحيل حسمها علميا؛

(٩) يقول أرسطو: "من الذي يسمى مواطنا وماذا يعنى هذا الاسم؟ فتلك مسألة مختلف فيها غالبا وهيهات أن يقع الرأي فيها بالإجماع، ففلان بما هو مواطن في الديمقراطية ينقطع غالبا عن أن يكونه في دولة أوليغرشية". أرسطو: السياسة، الكتاب الثالث، الباب الأول، ص١٩٠.

(١٠) يقول الفارابي في ذلك: "فقوم رأوا أن الاشتراك في الولادة من والد واحد ... [و] الارتباط به... يكون الاجتماع والائتلاف والتحاب، والتوازر على أن يغلبوا غيرهم، وعلى الامتناع من أن يغلبهم غيرهم..... وقوم رأوا أن الارتباط هو بالاشتراك في التناسل.... وهو التصاهر.... وآخرون رأوا أن الارتباط هو بتشابه الخلق والشيم الطبعية، والاشتراك في اللغة واللسان". الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص١٥٤:١٥٥.

فنحن لا نعرف نسبنا كاملا وبشكل مؤكد عبر آلاف السنين، وإن عرفنا جزءا يسيرا منه من جهة الآباء فنحن لا نعرف عنه شيئا يذكر من جهة أمهاتنا وجداتنا! فإذا أضفنا إلى ذلك أن نسبنا إلى أمهاتنا وجداتنا لا يتفق، بمعنى أن نسب كل من: أمي، وأم أبي، وأم أمي، وأم جدي، وأم جدتي.... الخ لا يتفق (ليس واحدا، فكل منهن من عائلة مختلفة)، تبين من ثمة استحالة تتبع نسب إنسان من جهة والديه؛ والمنطق العلمي (الجيني) لا يفرق بين نسبنا إلى أمهاتنا ونسبنا إلى آبائنا.

- والقول بأن رابطة المواطنة الجديرة بالاعتبار هي **الاشتراك في المحل الذي عاش فيه الآباء والأجداد وإن اختلفوا عرقيا ودينيا وثقافيا ففيه نظر**:

وذلك أن هذه الرابطة تتعارض مع الاحتمالين القائمين: الأول: أن آدم عليه السلام قد عاش في وطننا وهو ما يعني أن كل أبنائه أي كل البشر من مواطني دولتنا. الثاني: أن آدم عليه السلام لم يعش في بلدنا وهو ما يعني أن جميع مواطني دولتنا أتوا تباعا إليها كمهاجرين، ولا شك أنه لا فرق بين من قدم إلى دولة منذ بضعة أسابيع ومن هاجر إليها منذ بضعة قرون أو أكثر، ولو زعم زاعم أن هناك فرقا فسيعجز عن تحديده، وعن بيان المدة الكافية التي تجعل من المقيم مواطنا كامل المواطنة ومبررات هذه المدة ولماذا لا تكون أقل أو أكثر! وهو ما يوضحه أرسطو بقوله: "في اللغة المستعملة: المواطن هو الفرد المولود لأب مواطن ولأم مواطنة.... [إلا أن] ولادة امرئ لأب مواطن ولأم مواطنة هي شرط لا يمكن عقلا أن يطلب من الساكنين الأول، المؤسسين للمدينة"(١١).

فإذا أضفنا إلى كل ذلك أنه قبل قيام الدولة الوطنية واختراع جوازات السفر والتأشيرات كانت الهجرات البشرية في حركة دائبة لا تكف ولا تمل تَبين عدم جدارة هذه الرابطة للمواطنة بالاعتبار.

- والقول بأن رابطة المواطنة الجديرة بالاعتبار **هي الاشتراك في محل الولادة؟** وأن الوطني لا يحتاج لسبب آخر غير ذلك ليكون موالٍ لوطنه ولمواطني بلد مولده وله اهتمام خاص به؟ فحبه له كحبه لأمه حتى وإن كانت قد ماتت عقب ولادته، أو حبه لأبيه الذي لم يره، أو لأبنائه حتى غير البارين منهم(١٢) ففيه نظر:

وذلك أن هذه الرابطة للمواطنة أشبه بالغريزة البيولوجية.. واعتبار ما هو بيولوجي هنا يضع الإنسان في مرتبة دون الإنساني لا دون السياسي وحسب! ثم إن الحدود السياسية للوطن كثيرا ما تختلف عن حدوده الشعورية، فالإسكندراني الذي لم يذهب قط إلى أسوان، والأسواني الذي لم يذهب قط إلى الإسكندرية هما أبناء وطن واحد سياسيا! وفي نفس الوقت نجد أن بعض مناطق السودان هي أقرب إلى الأسواني في الموقع، ولعلها ترتبط بذكرياته وتثير حنينه أكثر مما ترتبط بعض المناطق في وطنه السياسي، ولعل العادات والتقاليد المشتركة بين الأسواني والسوداني تكون أكثر من تلك التي بينه وبين الإسكندراني! والاشتراك في العادات والتقاليد هو عماد الألفة بين الجماعات الإنسانية، ويجعل الفارابي للرابطة الشعورية بين الجماعات الإنسانية أسبابا عديدة منها "طول التلاقي، ومنها الاشتراك في طعام يؤكل، وشراب يشرب، ومنها الاشتراك في الصنائع، ومنها الاشتراك في شرّ يدهمهم، وخاصة متى كان نوع الشرّ واحدا وتلاقوا، فإن بعضهم يكون سلوة بعض، ومنها الاشتراك في لذّة ما، ومنها

(١١) أرسطو: السابق، ص١٩٢.

(١٢) يقول الجاحظ في ذلك: "من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها توّاقة". الجاحظ: رسائل الجاحظ ٣٨٥/٢.

الاشتراك في الأمكنة التي لا يؤمن فيها أن يحتاج كل واحد إلى الآخر"[١٣]. وبهذا يتَبين عدم جدارة هذه الرابطة للمواطنة بالاعتبار.

- والقول بأن رابطة المواطنة الجديرة بالاعتبار هي **الاشتراك في المحل الذي يحب الإنسان العيش فيه**[١٤] ففيه نظر مهما اختلفت أسباب المحبة: فهناك من يرجعها إلى ما في الوطن من فضائل ولما له من منجزات، وهناك من يرجعها إلى الألفة والحنين للذكريات[١٥]:

فأما حب الوطن لما له من فضائل ومنجزات، فهو لا يمثل رابطة مواطنة جديرة بالاعتبار؛ وذلك أن الفضائل والمنجازات لا تختص بوطن واحد ومن ثمة فهي لا تمثل رابطة مواطنة تمنع اشتراك أصحابها مع غيرهم من مواطني دول أخرى لها نفس الفضائل والمنجزات في رابطة المواطنة!

وأما حب الوطن للألفة والحنين، فهو لا يمثل رابطة مواطنة جديرة بالاعتبار كذلك؛ وذلك أن هذه المشاعر لا تختص بوطن واحد، فالإنسان قد يألف أكثر من وطن ويحن لأكثر من مكان، وقد لا يحن ولا يألف بعض مناطق الوطن المفروض بحدوده السياسية. وقد تنحصر ذكريات الإنسان في وطنه فيما يزعجه: كالخوف والمهانة والفقر....إلخ؛ بل قد يحب الوطن الطامعون فيه والراغبون في الاستئثار بخيراته؛ وبهذا يتَبين عدم جدارة هذه الرابطة للمواطنة بالاعتبار.

- والقول بأن رابطة المواطنة الجديرة بالاعتبار هي **الاشتراك في المحل الذي يشعر نحوه الإنسان بالامتنان والعرفان بالجميل لما قدمه ويقدمه له؛ حيث تشكل تاريخه، وبه حاضره، ويتشكل فيه مستقبله**[١٦] ففيه نظر:

---

(١٣) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١٥٦.

(١٤) يقول فولتير في ذلك: "كان أول من كتب أن الوطن هو المكان الذي يشعر فيه المرء بالراحة هو –على ما أعتقد– يوريبيدوس في مسرحيته (فايتون)؛ لكن أول إنسان غادر محل ميلاده سعيا إلى راحته في مكان آخر قالها قبله". فولتير: قاموس فولتير الفلسفي، ص١٣٦.

(١٥) وللجاحظ رسالة بعنوان (رسالة في الحنين إلى الأوطان) استفاض فيها في ذكر أقوال ومواقف عبر فيها أصحابها عن حنينهم لأوطانهم وحبهم لها لذكرياتهم بها. انظر: الجاحظ: رسائل الجاحظ، رسالة في الحنين إلى الأوطان، ص ٣٧٩ : ٤١٢ .

ويرجع ابن الرومي كذلك سبب محبة الأوطان إلى الألفة والحنين للذكريات، فيقول عن وطنه:

فقد ألِفَتْهُ النفسُ حتَّى كأنه *** لها جسدٌ إن بانَ غودِرْتُ هالكا

وحَبّبَ أوطانَ الرجالِ إليهمُ *** مآربُ قضّاها الشبابُ هنالكا

إذا ذَكَروا أوطانهم ذكَّرتهمُ *** عهودَ الصِّبا فيها فَحنُّوا لذالكا

ابن الرومي: ديوان ابن الرومي ١٤٠/٣

(١٦) وربما يكون الامتنان هو الرابطة الأكثر شعبيّة للوطنية. يقول الجاحظ في ذلك: "حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك؛ لأن غذاءك منهما، وغذاءهما منه..... احفظ بلدا رشّحك غذاؤه، وارع حمى أكنّك فناؤه. وأولى البُلدان بصبابتك إليه بلد رضِعت ماءه، وطعمت=

وذلك أن الامتنان شعور ناتج عن واقع المواطنة المنغلق على ذاته، والذي يعوق سهولة التنقل بين بلاد العالم والاستفادة من الأوطان كافة، ومن ثمة يعوق فرصة تحقق الامتنان لما يمكن أن يستحق الامتنان منها، ومن ثمة يكون واقع المواطنة المنغلق هو الذي يخلق مزاياها الموهومة؛ وحال أصحاب هذا الواقع المنغلق كالسجين الذي يشعر بالامتنان لإمداد سجانه له بالغذاء والكساء والدواء! ثم إن الشعور بالامتنان لا يكون مفهوما إلا عندما تُمنح المنافع كهديّة، وليس كعمليّة مقايضة. وجل المنافع التي تصلنا من أوطاننا هي من النوع الأخير؛ فهي فوائد دفعنا مقابلها: (ضرائب، وخدمات تطوعية، وخدمة عسكرية...الخ). وبهذا يتَبين عدم جدارة هذه الرابطة للمواطنة بالاعتبار.

- والقول بأن رابطة المواطنة الجديرة بالاعتبار هي **الاشتراك في الوقوع في أسر نظام سياسي معين، وأن الوطن هو مشروع يصنعه النظام السياسي، ولا يوجد متعينا قبل أن يوجد هذا النظام**، وأن النظام السياسي ككيان مهيمن هو شرط وجود الوطن، وبمقدار ما تمتد هيمنة النظام السياسي ترسم حدود الوطن[١٧] ففيه نظر:

وذلك أن هذه الرابطة أراها تعبر عن واقع مرذول ولا تعبر عن الواقع المنشود؛ فممن يعتبرون أنفسهم وطنيين من لا يدعم (لا يوطن نفسه على) أي نظام سياسي يتسلم السلطة في بلده. وهنا يختلف الواقع المنشود عن الرواية الشعبية للوطنية التي تدمج الأمرين معًا -أعني تدمج الوصف بالوطنية بالتأييد المطلق لمن في سدة الحكم أيا كان[١٨]-؛ فهيمنة نظام سياسي قد لا ترضي كل المحكومين وهو ما نشاهده في الحركات الانفصالية التي ترفض الانخراط تحت مظلة نظام سياسي واحد مع غيرها لسبب

=عذاءه". الجاحظ: السابق ٣٨٥/٢. والترشيح: التربية والتهيئة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ر ش ح) ١٥٧/٦. ويقول الجاحظ: "أحق البلدان بنزاعك إليه بلد أمصك حلب رضاعه". السابق ٣٨٦/٢. وفي ذلك يقول ابن الرومي:

ولي وطنٌ آليت ألا أبيعَهُ *** وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا

عهْدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً *** كنعمةِ قومٍ أصبحوا في ظِلالكا

ابن الرومي: السابق ١٤/٣.

(١٧) يقول الفارابي في ذلك: "وآخرون لما رأوا أن المتوحد لا يمكنه أن يقوم بكل ما به إليه حاجة دون أن يكون له مؤازرون ومعاونون يقوم له كل واحد بشيء مما يحتاج إليه، رأوا الاجتماع. فقوم رأوا أن ذلك ينبغي أن يكون بالقهر، ..... [فـ] يقهر [رجل] قوما فيستعبدهم ثم يقهر بهم آخرين فيستعبدهم أيضا.... فإذا اجتمعوا له صيرهم آلات يستعملهم فيما فيه هواه..... وقوم رأوا أن الارتباط هو بالاشتراك في الرئيس الأول الذي جمعهم أولا ودبرهم حتى غلبوا به ونالوا خيرا". الفارابي: السابق، ص ١٥٤ :١٥٥.

ولعلنا نجد في اللغة شفيعا لهذا المعنى: فمن معاني الجذر (و. ط. ن): التهيئة والتمهيد وحمل النفس على الشيء والتقبل. يقول ابن منظور: "توطين النفس على الشيء: كالتمهيد... وطّن نفسه على الشيء وله فتوطنت: حملها عليه فتحملت وذلت له". ابن منظور: السابق، مادة وطن ٢٣٩/١٥. ويستشهد ابن منظور على هذا المعنى بقول كثيّر: "قلت لها يا عز كل مصيبة * إذا وطنت يوما لها النفس ذلت". السابق نفس الموضع.

(١٨) وهو ما عابه أرسطو على هؤلاء منذ مئات السنين. انظر أرسطو: السابق، الكتاب الثالث، الباب الأول، ص١٨٩.

أو لآخر، وقد نشاهده مرة أخرى في أنفة أكثر المغلوبين والغالبين من التشارك في رابطة وطنية واحدة معا. وبهذا يتَبين عدم جدارة هذه الرابطة للمواطنة بالاعتبار.

**وعليه لا نجد خيارا شافيا مبررا تبريرا كافيا فيما سبق من أطروحات تحاصر مفهوم الوطن وتحصره في منظور ضيق يتنكر لمعانيه اللغوية المتعددة! وهنا يمكننا تشبيه الوطن بكائن هلامي لا يُعرف رأسه من ذنبه، ولا نستطيع التمييز بين المواطن الممسك برأس الوطن من المواطن الممسك بذنبه.**

فالوَطَنُ لغة: يمكن أن يضيق حتى لا يتعدى موضع جلوس الإنسان ومن ذلك ما روي في الحديث عن النبي ρ أَنه نهى عن أَنْ يُوَطِّنَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ[١٩] قيل: معناه أَن يأْلف الرجل مكانا معلوما من المسجد لا يصلي إلا فيه.

"وقد يفسر الموطن بالوقت"[٢٠].

وأحيانا يتسع المفهوم قليلا في المكان ويضيق في الزمان عندما يشير إلى مشهد واقعة معينة لها زمان ومكان كما في قوله تعالى: "لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ"[٢١].

ويتسع مفهوم الوطن في المكان أحيان أخرى دون أن يتعلق بالزمان ليشمل "المَنْزِلُ تقيم به"[٢٢]. أو "مَحَلُّ الْإِنْسَانِ"[٢٣] تقول العرب: "وَطَنَ بالمكان وأَوْطَنَ أَقام"[٢٤]دون اعتبار لمدة الإقامة. "وأوطان الغنم والبقر: مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها"[٢٥]. بصرف النظر عن أصل موطنها، ومكان مولدها، ومدة إقامتها في أماكنها التي تأوي إليها، ومحبتها لها.

ويتسع أحيانا أخرى مفهوم الوطن ليشمل بلدة أو عدة بلدات، تضيق مساحتها أو تتسع، أو تضيق في عصر وتتسع في آخر. يقول الفارابي: "وآخرون رأوا أن الارتباط هو بالاشتراك في المنزل، ثم الاشتراك في المساكن، ..... ثم الاشتراك في السكة، ثم الاشتراك في المحلة، ..... ثم الاشتراك في المدينة، ثم الاشتراك في الصقع الذي فيه المدينة"[٢٦].

ولا تتطلب تسمية الأرض بالوطن فترة معينة يقيمها الإنسان فيها: تقول العرب في ذلك: "أَوْطَنَ فلانٌ أَرض كذا وكذا أَي اتخذها محلاً ومُسْكَنا يقيم فيها..... وأوطنت الأرض ووطنتها توطينا واستوطنتها أي

(١٩) رواه أبو داود في سننه. كتاب الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود.

(٢٠) الكفوي: الكليات، ص٨٢٨.

(٢١) التوبة: ٢٥. ويقول الكفوي في هذا المعنى: "الموطن: كل مقام قام فيه الإنسان لأمر ما فهو موطن له". الكفوي: الكليات، ص ٨٠٣.

(٢٢) ابن منظور: السابق، مادة وطن ٢٣٩/١٥.

(٢٣) ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة وطن ١٢٠/٦.

(٢٤) ابن منظور: السابق، نفس الموضع.

(٢٥) السابق نفس الموضع.

(٢٦) الفارابي: السابق، ص ١٥٥ :١٥٦.

اتخذتها وطنا"[٢٧]. ويقول رؤبة بن العجاج: أَوْطَنْتُ وَطْنًا لم يكُنْ من وَطَني لَو لم تَكُنْ عاملَها لم أَسْكُنِ. ويقول ابن بري: كيما ترى أهل العراق أنني أوطنت أرضا لم تكن من وطني[٢٨].

ومن هنا تتعدد الأوطان للإنسان الواحد بقدر تنقله من موطن لآخر[٢٩].

**أما القرآن الكريم** فلم يستخدم مصطلح "وطن" وإنما استخدم مصطلح "الدار" يقول تعالى " وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ"[٣٠] ويقول: " فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ"[٣١] ويقول: " وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ"[٣٢]. ليؤكد في رأينا على أن وطن الإنسان هو مكان داره التي يسكنها سواء ولد بها أو انتقل إليها، وسواء كانت هي ديار الآباء والأجداد أو لم تكن....الخ. **وقد جمعت السنة النبوية** في بعض أحاديثها بين مصطلحي "الوطن" و"البلاد": "ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم"[٣٣]. ثم جمعت في أحاديث أخرى بين مصطلحي "الوطن" و"الدار": "هي وطني وداري"[٣٤]. وهو ما يشير في رأينا إلى أن بلد الإنسان هو وطنه، ووطنه هو مكان داره التي يسكنها: سواء ولد بها، أم انتقل إليها؛ وسواء كانت هي ديار الآباء والأجداد، أم لم تكن....الخ.

ويبقى تحديد حدود الديار أو البلدان أو الأوطان مفتوحا لا يحده نص إسلامي، أو عقل؛ وإنما يفرضه واقع بطريقة قد تكون مرضية لأهل الديار والأوطان وقد لا تكون.

**ومن هنا نقول بأن رابطة المواطنة الجديرة بالاعتبار، بل والجهاد من أجلها هي: (الاشتراك في ميثاق) أو (المواطنة) للإخلاص لمجموعة من المبادئ، وتبادل للوعود بتقديم ودعم بعض الالتزامات.**

ومن ثمة تتعين حدود الوطن بحدود الرقعة التي يعيش عليها أعضاء الميثاق، أو المواطنون على الميثاق، فلا تشترط هذه الرابطة للمواطنة أن يرتبط المواطنون معا لا بعرق ولا بدين ولا بلغة ولا بثقافة ولا بتاريخ.... الخ.

---

(٢٧) السابق، نفس الموضع.

(٢٨) انظر: السابق، نفس الموضع.

(٢٩) ومن هنا جعل أبو البقاء الكفوي الأوطان ثلاثة: فيقول: "الوطن الأصلي: مولد الإنسان أو البلد التي تأهل فيها. ووطن الإقامة: هو البلدة أو القرية التي ليس للمسافر فيها أهل ونوى أن يقيم فيه خمسة عشر يوما فصاعدا. ووطن السكنى: هو المكان الذي ينوي المسافر أن يقيم فيه أقل من خمسة عشر يوما". أبو البقاء الكفوي: الكليات ص٩٤٠. ولم يقدم لنا الكفوي برهانا على هذه القسمة وهذه التعريفات للأوطان، لكن هذا الطرح بهذه الطريقة يؤكد على غموض مصطلح "الوطن" وهو ما يعنينا هنا.

(٣٠) الممتحنة:٨.

(٣١) الأعراف: ٧٨.

(٣٢) النساء:٦٦.

(٣٣) حديث ضعيف، رواه أحمد في مسنده، في مسند المكثرين من الصحابة مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

(٣٤) حديث ضعيف، رواه أبو داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في إقطاع الأرضين.

ولعلنا نجد في اللغة شفيعا لهذا المعنى: يقول الزمخشري: "واطنته على الأمر: وافقته"[٣٥]. ويقول ابن منظور: "واطنه على الأمر: أضمر فعله معه..... تقول: واطنت فلانا على هذا الأمر إذا جعلتما في أنفسكما أن تفعلاه"[٣٦].

ولعل هذه الرابطة هي التي أشار إليها سقراط حين قال: "وربما استطردت القوانين قائلة... لكل من شاء من الأثينيين..... إن كان لا يرضى بنا، أن يخرج حاملا معه ما يمتلك، ذاهبا حيث يشاء، وما من قانون بيننا يقف عائقا دون أن .... يهاجر إلى مكان آخر يقيم فيه... أما ذلك الذي يبقى معنا.... فإننا نقول على الفور إنه وافق بمحض سلوكه هذا على أن يعمل في المستقبل بحسب ما قد نأمر به نحن"[٣٧]. ثم أكد عليها على لسان القوانين بالاستفهام الاستنكاري حين تقول: "فمن ستعجبه مدينة بدون أن تعجبه قوانينها؟"[٣٨].

ثم أكد أرسطو على ذلك بقوله: "لا يكون المرء مواطنا حقيقة إلا بما يمكنه أن يدخل بنصيب في السلطة"[٣٩]. وقوله: "إن السيما المميزة للمواطن الحق على الوجه الأتم إنما هي [إمكانية] التمتع بوظائف القاضي والحاكم"[٤٠].

ويؤكد ماركوس أوريليوس[٤١] على هذه الرابطة بقوله: "ما دام الجزء المفكر مشتركا بيننا، فالعقل مشترك أيضا، وهو ما يجعلنا كائنات عاقلة، ومشترك بيننا أيضا الأمر الذي يملي علينا ما نفعل وما لا نفعل. وإذا صح ذلك فبيننا أيضا قانون مشترك؛ ومن ثم فنحن مواطنون نستظل معا بدستور واحد. إذا صح ذلك فالعالم كله كأنه دولة واحدة"[٤٢].

ويشير توما الأكويني إلى هذه الرابطة بقوله: "إن وفاق الشياطين الموجب لإطاعة بعضهم بعضا ليس ناشئا عن تواد بينهم بل عمّا هم مشتركون فيه من الشر الباعث لهم على بغض الناس وممانعة العدل الإلهي فإن من شأن الناس الأشرار أن ينضموا إلى من يرونهم منهم أشد قوة ويخضعوا لهم لغاية إنفاذ شرهم"[٤٣].

ويؤكد الإسلام من خلال دستور المدينة المنورة عمليا على هذه الرابطة حين جاء فيه "هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة

---

(٣٥) الزمخشري: أساس البلاغة، مادة (و ط ن) ٣٤٣/٢.

(٣٦) ابن منظور: السابق، مادة وطن ٢٣٩/١٥.

(٣٧) أفلاطون: محاكمة سقراط (... أقريطون) ص١٦٢.

(٣٨) السابق، ص١٦٤.

(٣٩) أرسطو: السابق، الكتاب الثالث، الباب الثالث، ص٢٠٠. ويقول أرسطو: "يتغير [مفهوم] المواطن بالضرورة من دستور إلى آخر. فالمواطن كما حددناه هو على الخصوص مواطن الديمقراطية". السابق، الباب الأول، ص١٩١.

(٤٠) السابق، الكتاب الثالث، الباب الأول، ص١٩٠. وانظر ص١٨٩.

(٤١) امبراطور وفيلسوف روماني (١٢١م- ١٨٠م).

(٤٢) ماركوس أوريليوس، التأملات، الكتاب الرابع، الفقرة (٤)، ص ٥٧.

(٤٣) الأكويني، الخلاصة اللاهوتية المبحث التاسع، الفصل الثاني، ٦١/٣.

واحدة من دون الناس.....، وأنه من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا مُتناصر عليهم.....، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .....، على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.....، وإن النصر للمظلوم"(٤٤).

ويحكي الفارابي عن كثير من العلماء القول بهذه الرابطة فيقول: "وقوم رأوا أن الارتباط هو بالإيمان والتحالف والتعاهد على ما يعطيه كل إنسان من نفسه، ولا ينافر الباقين ولا يخاذلهم، وتكون أيديهم واحدة في أن يغلبوا غيرهم، وأن يدفعوا عن أنفسهم غلبة غيرهم لهم"(٤٥).

وهو ما ذهب إليه ابن خلدون في مقدمته في الفصل الثامن من الباب الثاني تحت عنوان: "فصل في أن العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه".. حين جعل العصبية لـ "الولاء والحلف" في معنى العصبية للنسب(٤٦) وبرهن على ذلك بقوله: "إذ نعرة كل واحد على أهل ولائه وحلفه للأنفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب؛ وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريبا منها"(٤٧).

ويقص فولتير علينا قصة يوضح بها أن وجود الوطن مرهون بوجود هذه الإرادة المشتركة حول الأوضاع المستقبلية، فيقول: "تباهى يوما خبّاز أجير بحب وطنه، وكان قد درس بالكلية ولم يزل حافظا قليلا من عبارات شيشرون. وسأله ذات مرة أحد جيرانه: ماذا تعني بوطنك؟ أهو فرنك؟ أهي القرية التي وُلدت فيها ولم ترها منذ ذلك الوقت؟ أهو الشارع الذي سكن فيه أبوك وأمك اللذان قضيا نحبهما وجعلاك تكتفي بصنع فطائر صغيرة من أجل العيش؟ أهي دار البلدية حيث لن تُصبح أبدا مساعد مدير الشرطة هناك؟ أهي كنيسة سيدتنا العذراء حيث لم تستطع أبدا أن تصبح أحد الجوقة المرنّمين؛ بينما وصل رجل سخيف إلى منصب رئيس الأساقفة وأصبح دوقا يتقاضى دخلا يصل إلى عشرين ألف لويس ذهبي؟ لم يدر الخباز الأجير بم يجيب...! [ويجيب فولتير قائلا:] إن داخل الوطن بصورة ما.... يوجد آلاف الناس بلا وطن(٤٨).

ويشير شوبنهاور إلى هذه الرابطة بقوله: "كل معاشرة تشترط توافقا بين المتعاشرين وإرادات متناغمة"(٤٩).

ويشايع رينان هذه الرابطة مضيفا إليها التاريخ المشترك، فيقول: "الأمة هي قبل كل شيء روح، وفكر، وعائلة روحية لها من الماضي الذكريات المشتركة، والأمجاد المشتركة، والفواجع المشتركة أحيانا، لأن الفاجعة تجمع القلوب كما يجمعها المجد. ولها من الحاضر إرادة العيش المشترك، وبتعبير آخر، ....

(٤٤) حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٥٩: ٦٢.

(٤٥) الفارابي: السابق، ص ١٥٥.

(٤٦) انظر ابن خلدون: المقدمة، ص٤٨١.

(٤٧) السابق: نفس الصفحة.

(٤٨) فولتير: السابق، ص ١٣٥.

(٤٩) شوبنهاور: فن العيش الحكيم، ص ١٨٢.

تتكون الأمة .... بالشعور الذي كوّنوه معا عن القضايا الكبرى في الماضي، والتي يودون القيام بها أيضا في المستقبل"(٥٠).

وهذه الرابطة بلورها فلاسفة العقد الاجتماعي في نظرية العقد الاجتماعي (توماس هوبز، جون لوك، جان جاك رسو، وغيرهم)؛ حين قالو بأن انتقال الجماعة الإنسانية من الحالة الطبعية إلى حالة المجتمع السياسي المنظم كان نتيجة عقد اجتماعي اتفق عليه الناس، وإن اختلف مفكرو العقد الاجتماعي في تحديد أطراف العقد والتزاماته.

**وكلما زادت الثقة في النفس والرغبة في العدل اتسعت الرؤية لتجعل الوطن أوسع وأوسع ليشمل الميثاق شعوب العالم أجمع:**

والدعوة إلى المواطنة العالمية هي دعوة قديمة حمل لواءها بعض فلاسفة اليونان منذ القرن الرابع قبل الميلاد:

فالكلبيون (أو السينيكيون) رأوا أن ماهية الإنسان لا تتضمن علاقة وطنية أو سياسية؛ ومن ثمة كانوا أكثر أهل زمانهم ميلا للإنسانية وأقلهم شعورا بالوطنية(٥١).

ثم جاء الرواقيون فنظروا إلى الناس جميعا باعتبارهم أسرة واحدة، أفرادها شركاء في العقل؛ وفي الآمر الذي يملي عليهم ما يفعلون وما لا يفعلون وهو ما يفضي إلى اشتراكهم في دستور عقلي واحد يهيئهم للفضيلة والاجتماع معا للحياة في مجتمع واحد لا يعرف حدودا ولا فروقا بين أعضائه. يقول ماركوس أوريليوس: "إن الكائن الإنساني وثيق القرابة بالجنس البشري كله، لا قرابة دم أو بذرة [فقط]؛ بل مجتمع عقلي"(٥٢). ويقول: "الكائنات العاقلة كأعضاء الجسد الواحد خلقت للتعاون، ستتبين هذا بوضوح كلما قلت لنفسك إنني عضو في منظومة الكائنات العاقلة"(٥٣). ويقول: "إن رعاية جميع البشر هي أمر تقتضيه طبيعة الإنسان"(٥٤). ويقول: "هنا أو هناك لا فرق، ما دمت حيثما عشت تتخذ العالم كوطن لك"(٥٥). وبذا يحل الإنسان محل المواطن، والوحدة العقلية محل الوحدة السياسية. ومن لا يتفهم هذا الأمر يصفه ماركوس بالورم على جسم العالم فيقول: "لا تنبتّ عن إخوانك في البشرية فتكون ورما على جسم العالم"(٥٦).

---

(٥٠) كريسون (أندريه)، رينان: حياته، آثاره، فلسفته، ص٨٨.

(٥١) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٢٣٢.

(٥٢) ماركوس أوريليوس، التأملات، الكتاب الثاني عشر الفقرة (٢٦)، ص ١٦٥.

(٥٣) السابق، الكتاب السابع الفقرة (١٣)، ص ٩٩.

(٥٤) السابق، الكتاب الثالث الفقرة (٤)، ص ٤٨.

(٥٥) السابق، الكتاب العاشر الفقرة (١٥)، ص ١٤٠.

(٥٦) السابق، المقدمة، ص٢٤.

وفي القرن العاشر الميلادي أشار الفارابي إلى هذه المواطنة العالمية في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" حين قال: "المعمورة الفاضلة، إنما تكون إذا كانت الأمم التي فيها تتعاون على بلوغ السعادة"(٥٧)، وحين قال: "وآخرون قالوا إن التغالب في الموجودات إنما هو بين الأنواع المختلفة، وأما الداخلة تحت نوع واحد فإن النوع هو رابطها الذي لأجله ينبغي أن يتسالم. فالإنسانية للناس هي الرباط؛ فينبغي أن يتسالموا بالإنسانية"(٥٨).

وفي العصور الحديثة دعا الشيوعيون إلى هذه المواطنة العالمية؛ يقول ماركس وإنجلز: "العمال لا وطن لهم؛..... نتيجة: لتطور البرجوازية، [و] لحرية التجارة، [و] للسوق العالمية، [و] للتماثل الذي أوجده الإنتاج الصناعي، ولشروط الحياة الملائمة لذلك، أخذت الحواجز القومية والتناقضات بين الشعوب تزول أكثر فأكثر، وستصبح أكثر زوالا بظهور سلطة البروليتارية، ويشكل نشاط البروليتارية المشترك على الأقل في البلدان المتمدنة شرطا أوليا من شروط تحررها. بقدر ما يقضى على استغلال الإنسان للإنسان، سيقضى على استغلال أمة لأمة، ومع زوال التناحر بين الطبقات داخل نفس الأمة يزول العداء بين الأمم"(٥٩) ثم أكد عليه ماركس وإنجلز في ندائهما الشهير "أيها العمال في جميع البلدان اتحدوا!"(٦٠) وهو النداء الذي درج على ترجمته بـ "يا عمال العالم اتحدوا".

والمواطنة العالمية فكرة حام حولها "كانت" مرة حين قال: "إن شأن الشعوب حين تصير دولا كشأن الأفراد في حال الفطرة (أي الخلو من كل قانون خارجي) يعتدي بعضها على بعض بحكم الجوار(٦١)؛ ولا بد لكل شعب ليضمن أمنه وسلامته أن يطلب إلى الآخر أن يشاركه في نظام شبيه بالدستور المدني الذي يرى فيه كل واحد ضمانا لحقوقه: هذا النظام بمثابة (حلف شعوب) لكنه لن يكون دولة واحدة"(٦٢). ولم يوضح كانت لماذا توقف حلمه عند هذا الحد ولم يرتق ليحلم بحكومة واحدة عالمية بالمواصفات التي يتطلع إليها المواطن العالمي. إلا أن كانت عاد وصرح بالدعوة إلى المواطنة العالمية حين قال: "لما كان سطح الأرض دائريا، فقد استحال على الناس أن ينتشروا في الأرض انتشارا لا حد له، وكان لا بد من أن يلتقوا وأن يتحملوا مجاورة بعضهم لبعض، إذ الأصل أن الأرض مشاع بينهم وليس لأحد منها أكثر من نصيب غيره"(٦٣).

---

(٥٧) الفارابي: السابق، ص ١١٨.

(٥٨) السابق، ص ١٦٤.

(٥٩) ماركس وأنجلز: البيان الشيوعي، ص ١١٦: ١١٧.

(٦٠) السابق، ص ١٥٩.

(٦١) يقول كانت: "إن الحرب ما هي إلا وسيلة تعسة يلجأ إليها المرء مضطرا لإقرار حقه بالقوة وهو في طور الفطرة حيث لا وجود لمحاكم تفصل في الأمور بقوة القانون، وفي هذا الطور لا يقال على أحد الطرفين إنه جائر لأن مثل هذا الوصف يفترض صدور حكم قضائي من قبل". كانت: مشروع للسلام الدائم، ص ٣٣.

(٦٢) السابق، ص ٥١.

(٦٣) السابق، ص ٦٠: ٦١.

ثم جاء الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة الأسبق د. بطرس غالي (قبل توليه منصبه المشار إليه) في مؤتمر التعبئة القومية بالإسكندرية عام ١٩٥٩م ليدعو إلى المواطنة العالمية قائلا: "أيها الأخوة، سأكون قد حققت الهدف المتواضع الذي ابتغيته إذا كنت قد وصلت إلى إقناعكم بأنه إلى جانب إيماننا بالقومية العربية يجب أن نؤمن بأن هناك قومية عالمية"(٦٤).

ولا يزال الكوزموبوليتانيون المعاصرون يطرحون أطروحاتهم حول الكوزموبوليتانية(٦٥).

**ولعل أولى المحاولات العملية لتحقيق هذه المواطنة العالمية** كانت محاولات الإسكندر الأكبر: بالقوة العسكرية مرة، وبالحب والإغراء أخرى(٦٦)، ففضلا عن فتوحات الإسكندر العسكرية، دعا الإسكندر لاختلاط الدماء الشرقية والغربية فـ "أعلن أن كل شرقي يتزوج بغربية، أو غربي يتزوج بشرقية له مكافأة، فاندفع الناس يحققون هذه الفكرة حتى قيل إنه قد تمت في ليلة واحدة عشرة آلاف عقد من هذا النوع، وكان أول هذه العقود هو عقد الإسكندر نفسه على بنت عاهل فارس. ومهما يكن من نصيب هذه الرواية من الصحة، فإن الذي لا ريب فيه هو أن الإسكندر قد خرج على نظرية أستاذه (أرسطو) وحاول هذا المزج محاولة فعلية"(٦٧).

ولعل أولى المدن القديمة التي تحققت فيها هذه المواطنة بدرجة ملموسة كانت مدينة الإسكندرية عندما "سطع كوكب فلسفة الإسكندرية في سماء العالم العقلي، فوجد أنصار هذه الفكرة في عاصمة مصر .... مرعى خصيبا لمبادئهم حيث كانت هذه المدينة أول عاصمة في العهد القديم اجتمعت فيها أجناس مختلفة،

---

(٦٤) غالي: التفاهم العالمي والمنظمات الدولية، محاضرة ألقاها ضمن مؤتمر قادة التعبئة الوطنية بالإسكندرية في أغسطس ١٩٥٩م، ص.٢٥٨.

(٦٥) لعل ديوجين الكلبي هو أول من استخدم هذه اللفظة عندما سئل من أي البلاد أنت؟ فقال: "أنا مواطن عالمي (كوسموبوليتس)".

والكوزموبوليتانية في صورتها المثالية: هي نزعة ترمي إلى اعتبار الإنسانية أسرة واحدة وطنها العالم بأسره وأعضاؤها البشر أجمعين. لا تعترف لا بالإنسان الأعلى ولا بالحدود الجغرافية للأوطان، وتحترم كافة أنواع الاختلافات البشرية: الثقافية والدينية والعرقية، راغبة في تحقيق العدالة بين كافة البشر في كافة المجالات.

ولهذه النزعة الإنسانية أشكال ودرجات مختلفة عبر التاريخ.

ولمزيد من التفصيلات حول الكوزموبوليتانية، انظر: د. هشام بن عبد العزيز العمار: الكوزموبوليتانية: استقراء في المفهوم. د. إيمان الشحات عبد التواب، هالة سعد مطراوي: التحول الحضري نحو الكوزموبوليتانية وعلاقته بالاستبعاد الاجتماعي.

(٦٦) يقول بلوطرخوس: "إن ما مهدت له فتوحات الإسكندر من طريق التاريخ، قد أتمته الفلسفة من طريق العقل". عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، ص١٧٣.

(٦٧) غلاب: الفلسفة الإغريقية، ٢٣٢/٢. يؤخذ على أفلاطون وأرسطو في مذهب الأخلاق .... أنهما لم يعرفا من روابط الصداقة والعطف إلا ما يكون بين المواطنين من أهل المدينة الواحدة ولم يعمما صفة الإنسانية تعميما تتخطى به حدود المكان والزمان". عثمان أمين: السابق، ص١٧٢. وانظر غلاب: السابق، ٢٣١/٢.

وتلاقت فوق أرضها عناصر متباينة، إذ كنت تشاهد فيها المصري آخذا بيد الإغريقي، وترى اليهودي يصادق الفارسي، وتسمع الروماني يتودد إلى السوري...."[٦٨].

إن دعوات المواطنة الضيقة لا تنشأ إلا عند الإحساس بالدونية والخوف من المنافسة مع الآخر سواء كان ذلك على مستوى الساسة أم المواطنين، أو عند طمع الجماعات البشرية التي تجاور الموارد الطبعية المتميزة -من بترول ومعادن وبحار وأنهار... الخ- في الاستئثار بموارد الطبيعة وحرمان كل من يمكن حرمانه منها بوضع حدود للوطن بأي مزعم من المزاعم ليقتصر على أقل عدد من السكان وأكبر قدر من الغنائم، وفي سبيل ذلك تتم رشوة أصحاب القوة والنفوذ العالمي لإقرار هذا الوضع؛ وهو ما يساهم في خلق دول كبيرة فقيرة ودول صغيرة غنية فلا يتحقق للجميع بدرجة أو بأخرى مقومات الدولة من القدرة على الاكتفاء الذاتي والدفاع عن النفس، فيتضرر عامة الشعب سواء في الدول الكبيرة الفقيرة أو في الدول الصغيرة الغنية بدرجة أو بأخرى، ولا يستفيد من هذا الوضع إلا القوى العالمية العظمى وأصحاب المصالح في كلا النوعين من الدول الضعيفة[٦٩]. وهذه الأوضاع والأطماع تخلق ولابد: دولا مكتظة بالسكان لا تسعها أرضها، ودولا لا يكفيها طعامها، ودولا محاصرة من جميع الجهات بدول أخرى لا يمكن لمواطنيها الخروج من أرضها أو الدخول إلا بإذن الدول المجاورة[٧٠]؛ ومن هنا تكون الحرب مع الدول المجاورة تمثل توافقا مع الحالة الطبعية الأولى للإنسان. يقول جان جاك رسّو: إن "الأرض إذا كانت واسعة جدا ثقلت حراستها، ونقصت زراعتها، وفاضت غلتها؛ فكان ذلك سبب الحروب الدفاعية .... [و] إذا كانت [الأرض] غير كافية .... كان هذا سبب الحروب الهجومية"[٧١].

ومن ثمة أقول إن الدعوى إلى المواطنة العالمية هو السبيل الوحيد لتحقيق العدالة في اقتسام ثروات الأرض، والاستفادة من قدرات الإنسان ومؤهلاته حيثما وجد بعيدا عن العنصرية والقبلية والعرقية ومصالح الأقلية.

وهيئة الأمم المتحدة لا يمكنها بوضعها الحالي أن تحل محل حكومة العالم الموحدة، وذلك أن: عضويتها ليست إجبارية، وقراراتها غير ملزمة لكل الدول بنفس درجة الإلزام، وتمثيل الدول بها لا يرضي كثيرا من الدول صاحبة العضوية والمتفاوتة بقدر هائل: في عدد سكانها، وفي مساحتها، وفي قوتها الاقتصادية، وقوتها العسكرية، وتقدمها الحضاري، وتأثيرها السياسي.... إلخ، وهو ما يمثل نقطة خلاف حول كيفية تحقيق العدل في التمثيل والتصويت.

(٦٨) غلاب: السابق، ٢/٢٣٥.

(٦٩) يقول نعوم تشومسكي: "يحكم الرجال الأغنياء في المجتمعات الغنية ويتنافسون فيما بينهم للفوز بحصة أكبر من الثروة والسلطة ويزيحون بلا رحمة أولئك الذين يقفون في طريقهم، يساعدهم في ذلك الرجال الأغنياء في الدول الجائعة، أما الباقون فيخدمون ويعانون". نعوم تشومسكي: السابق، ص١١.

(٧٠) فحتى المجال الجوي يحتاج إلى إذن لعبوره.

(٧١) رسّو: العقد الاجتماعي، ص٧٤.

## المبحث الثاني: الدولة الوطنية المأزومة.

**الدولة الوطنية المعاصرة بحكم وجودها** لا بسبب نظامها السياسي أيا كان، هي مشروع حرب داخلية وخارجية:

فالحدود السياسية للأوطان كثيرا ما تقف متحدية لمصالح اقتصادية لكيانات أخرى، ولوحدة: القبيلة، والعرق، وأبناء المعتقد الديني...الخ.

هذا فضلا عن تداعيات وجود الحشود العسكرية التي تحشدها الدولة الوطنية على ما تعتبره حدودا مقدسة لها على الدول المجاورة، وأهمها ما يلي:

١. **التأكيد على التمايز والتباعد النفسي** بين دول الجوار مما يضعف فرص التعاون والتكامل بينهم فيخسر الجميع.
٢. **التهديد الدائم بالعدوان؛** يقول كانت: "إن حالة السلام بين أناس يعيشون جنبا إلى جنب ليست حالة فطرية: إذ إن الحالة الفطرية أدنى إلى أن تكون حالة حرب، وهي وإن لم تكن دائما حربا معلنة إلا أنها على الأقل منطوية على تهديد دائم بالعدوان"(٧٢).
٣. **استهلاك الطاقات البشرية، والقدرات الاقتصادية في تسابق تسلح لا ينتهي؛** فالكل خاسر: المنتصر، والمنهزم؛ وكان من الممكن أن تساهم هذه الطاقات وتلك القدرات في تحقيق مزيد من الرقي والرفاهية للجنس البشري. وهو ما يحذر منه تولستوي بقوله: "إن كل زيادة في عدد قوات الجيش لدى إحدى الدول تجبر الدولة المجاورة أن تُزيد من عدد قواتها هي الأخرى بدافع من الوطنية أيضا(٧٣)، وهذا بدوره يجعل الأولى تزيد ثانية من قوتها"(٧٤). وحذر منه "كانت" من قبل في مشروعه للسلام الدائم(٧٥).
٤. **التورط الطبعي في الحروب؛** فمن الطبعي أن تتورط الحشود العسكرية التي تحشدها الدولة الوطنية على ما تعتبره حدودا مقدسة لها بين الفينة والأخرى في حروب؛ فالحرب كما يقول تولستوي: "هي النتيجة الطبعية لتسلح الناس"(٧٦). ويلقي "كانت" مزيدا من الضوء على هذه العبارة فيقول: إن "النفقات التي تخصص ..... [للجيوش] من شأنها آخر الأمر أن تجعل السلام أشد وطأة من الحرب ....، [لذا] فإن الجيوش نفسها تصبح سببا لحروب عدوانية القصد منها التخفيف من تلك الأعباء"(٧٧).
٥. **الانتهاك المتبادل للحقوق الإنسانية للشعوب؛** يقول الفارابي في ذلك: "قالوا: فإذا تميّزت الطوائف بعضها عن بعض بأحد هذه الارتباطات: إما قبيلة عن قبيلة، أو مدينة عن مدينة،

(٧٢) كانت: السابق، ص ٣٩.

(٧٣) والوطنية: شعور بالانتماء والحب والولاء للأوطان قد يكون سلبيا وقد يكون إيجابيا.

(٧٤) تولستوي: في العلم والأخلاق والسياسة، ص٢٦.

(٧٥) انظر: كانت: السابق، ص ٢٨.

(٧٦) تولستوي: السابق، ص٣٥.

(٧٧) كانت: السابق، ص ٢٨.

أو أحلاف عن أحلاف، أو أمة عن أمة.... فينبغي بعد ذلك أن يتغالبوا ويتهارجوا. والأشياء التي يكون عليها التغالب هي: السلامة الكرامة واليسار واللذات وكل ما يوصل به إلى هذه..... وهذه الأشياء هي التي في الطبع، إما في طبع كل إنسان، أو في طبع كل طائفة، وهي تابعة لما عليه طبائع الموجودات الطبعية. فما في الطبع هو العدل. فالعدل إذا التغالب..... فاستعباد القاهر للمقهور هو أيضا من العدل، وأن يفعل المقهور ما هو الأنفع للقاهر هو أيضا عدل. فهذه كلها هي العدل الطبعي وهي الفضيلة"(٧٨). وهو ما يؤكد عليه جان جاك رسو بقوله: الحروب القومية "... تضع ... سفك الدماء الإنسانية في مرتبة الفضائل، وقد تعلم أكثر الناس صلاحا أن يعدوا بين وظائفهم واجب ذبح أمثالهم، وأخيرا رئي أن الناس يتذابحون بالألوف من غير أن يعرفوا السبب، وكان يُقترف من القتل في يوم معركة... [ومن] الفظائع عند الاستيلاء على مدينة واحدة ما هو أكثر مما كان يُقترف في حال الطبيعة -في قرون بأسرها- على جميع وجه الأرض، وهذه هي النتائج الأولى التي تُبصَر من تقسيم النوع البشري إلى مجتمعات شتى، فلْنعد في نظمها"(٧٩).

٦. **انتهاك الحقوق الإنسانية للجنود؛** فأعظم الخاسرين هم الجنود حين يتم التلاعب بهم كمجرد دمى في يد قادة يحركونها كيفما شاءوا. يقول كانت: "إن استئجار الناس لكي يقاتلوا أو يقتلوا معناه فيما يبدو أننا نعاملهم معاملة الآلات المحضة أو الأدوات في يد غيرهم (الدولة) وهو أمر لا يتفق مع حقوق الإنسانية"(٨٠). ويقول تولستوي في ذلك: "الوطنية .... شعور مثير للخزي، ليس فقط لأنه يجعل من الإنسان عبدا، ولكنه يجعله أيضا يشبه ديكا أو ثورا مقاتلا أو حتى مصارعا في الحلبات، وهو ما يحطم قواه وحياته بأكملها من أجل أهداف حكومته لا أهدافه هو. هو أيضا شعور غير أخلاقي؛ لأنه يجعل كل إنسان تحت سلطان الحكومة بدلا من أن يعتبر نفسه ابنا لله كما تعلمنا المسيحية، أو إنسانا حرا كما يخبره عقله، يعتبر نفسه ابنا لأمة بعينها وعبدا لحكومته، ويرتكب أفعالا تناقض عقله وضميره"(٨١).

وكثيرا ما يتذرع مشعلي الحروب الوطنية بـ (الوقائية والاستباقية) وما شابهها من شعارات تتستر على جرائمهم. بل قد يحاول بعضهم التجمل بشعارات كـ (حمل رسالة للإنسانية)(٨٢).

**إنَّ الدولة الوطنية التي تدفعنا لتعزّيز مصالح مواطني دولتنا على حساب غيرهم** بأية طريقة ممكنة هي دولة غير أخلاقيّة، تناقض أكبر قاعدة في المذهب الأخلاقي والتي تخبرنا بأنّه يجب علينا ألا نفعل بالآخرين ما لا نريدهم أن يفعلوه بنا، وأن نحب لغيرنا ما نحبه لأنفسنا؛ إنها نوع من التحيّز يخالف مطالب

(٧٨) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١٥٧ :١٥٨.

(٧٩) رسّو: أصل التفاوت بين الناس، ص٦٩.

(٨٠) كانت: السابق، ص٢٨. "وليس الأمر كذلك بالنسبة للتدريبات العسكرية التي يقوم بها المواطنون متطوعين من حين إلى حين، ليكفلوا سلامتهم وسلامة وطنهم من عدوان الأجنبي". السابق، ص ٢٩.

(٨١) تولستوي: السابق، ص٣٣.

(٨٢) انظر: تشومسكي: السابق، ص ٧.

العدالة الإنسانية والتضامن الإنساني المشترك. إن قاعدة أن "المصالح العليا للوطن يجب أن تكون فوق المحاكمة الأخلاقية وأننا مع بلدنا سواء أكانت على خطأ أم صواب" لا يمكن أن تكون صحيحة أخلاقيًا. إن الوطنية المأزومة تسعى لبناء المواطن الصالح لا الإنسان الصالح؛ وهو ما نشاهده كثيرا في الفارق بين معاملة المحتل لأبناء وطنه ومعاملته لأبناء الوطن المحتل. يقول الندوي: "لا يمكن لشعب أن يؤمن بالقومية، ثم لا يعتدي، ولا يتطاول، أو لا يريد أن يعتدي ويتطاول، ولا يمقت الآخرين، ولا يزدريهم؛ كما لا يمكن أن يسرف الإنسان في الخمر ثم لا يسكر ولا يهذي"(٨٣). ويقول فولتير في ذلك: "مُحزن أن يكون على المرء غالبا ليكون وطنيا صالحا أن يكون عدوا لبقية البشرية.... واضح أن أي دولة لا تستطيع أن تغنم إلا بخسارة غيرها"(٨٤). وهو ما يؤكد عليه تولستوي بقوله: "إن الوطنية الحقيقية -لا المُتخيَّلة- التي نعرفها جميعا، والتي يرزخ غالبية البشر الآن تحت حملها، والتي تعاني منها الإنسانية بشدة، لا تمثل على الإطلاق رغبة في الخير الروحي لكل شعب، ..... بل هي شعور محدد بتفضيل كل فرد لشعبه أو دولته عن بقية الشعوب والدول الأخرى، ولذلك فإن الرغبة في أن يتمتع هذا الشعب أو هذه الدولة بأكبر قدر من النعم والخيرات والقوة لا يمكن أن تتم إلا بالإضرار بنعم وخيرات الشعوب أو الدول الأخرى، وهذا ما يحدث دائما. من الواضح إذن أن الوطنية شعور ضار وشرير، وتعليم غبي، وذلك بسبب أنه إن اعتبر كل شعب وكل دولة أنفسهما الأفضل من بين بقية الشعوب والدول، فإن جميعهم إذن يرزخون تحت سلطان خرافة غبية وضارة"(٨٥). وقد عبر عن ذلك الشعور المرذول وأكد عليه الشاعر معروف الرصافي في قصيدته "التعصب الوطني للأدب"(٨٦).

يمكن أن يقال هنا: إن أبناء الوطن الواحد تربطهم معا علاقة منافع تبادلية ومن هنا يجب على كل مواطن أن يقدم أبناء وطنه على غيرهم، فهذا ليس فضلا منه؛ بل حق لهم وقد أدوا ما عليهم مقابل ذلك؛ فالعدالة تتطلب منا أن نرد بالمثل. يجب أن نعطي إخواننا المواطنين أولويّة أكثر من هؤلاء الذين هم خارج هذه العلاقة الخاصّة.. وهو أمر متفهم ما لم يكن ذلك على حساب غيرهم؛ يقول أنطونينوس(٨٧): "إن مدينتي هي روما، وبصفتي إنسانا فمدينتي هي الكون، لذا فإن ما هو خير لهاتين المدينتين هو وحده الخير بالنسبة لي"(٨٨). وفي ذلك يقول ماركوس أوريليوس: "العالم وطنك، والبشر إخوتك، وخير البلاد ما حملك"(٨٩). وسبقت محاولة الإجابة على السؤال: من هم أبناء الوطن الواحد؟ أو ما رابطة المواطنة الجديرة بالاعتبار لتحديد من هو المواطن ومن هو غير المواطن؟ ولماذا لا تتسع رابطة المواطنة لتشمل سكان المسكونة؟ وهل تكمن مصلحة شعوب العالم في المواطنة العالمية أم في المواطنات الصغرى؟

---

(٨٣) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ١٧٤.

(٨٤) فولتير: السابق، ص ١٣٦.

(٨٥) تولستوي: السابق، ص ١٥: ١٦.

(٨٦) انظر: ديوان معروف الرصافي، ص٢٤٩: ٢٥٠.

(٨٧) هو الإمبراطور أنطونينوس بيوس زوج عمة الإمبراطور ماركوس أوريليوس وأبوه بالتبني.

(٨٨) ماركوس أوريليوس، السابق، الكتاب السادس الفقرة (٤٤)، ص ٩٢.

(٨٩) ماركوس أوريليوس، السابق، المقدمة، ٢٥.

**إن الدولة الوطنية المأزومة لا تقوم على منطق عقلي أو عدالة إنسانية وإنما تدعم وجودها بما يلي:**

- أولا: صناعة ثقافة قطرية متمايزة عن غيرها من الثقافات: بتشجيع اللغة العامية، والآداب والفنون الشعبية، وتعظيم العادات الاجتماعية. ورواية التاريخ بمنهج يجعل للوطن تاريخا خاصا به منفصلا عن غيره وكأن تاريخ المستعمِر ينفصل عن تاريخ المستعمَر! وتاريخ كل منهما ينفصل عن تاريخ ما يجاوره من أوطان تساهم في قوته أو ضعفه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة!
- ثانيا: بلورة التمايز المصنوع بصناعة الرموز والأعلام والأعياد الوطنية.
- ثالثا: رشوة المواطنين عامة بإعطائهم حقوقا على حساب غير المواطنين، ورشوة دعاة الوطنية والمتحمسين لها بالجوائز والمناصب تحت شعار أنهم قد بلغوا من الوعي النهاية، واتصفوا بالولاء(٩٠) فاستحقوا الولاية.
- رابعا: مغالطة العقل وإيهامه بأن في صناعة العداوة مع الشعوب الأخرى فائدة تجنيها الشعوب الصانعة؛ يقول صامويل هنتنجتون: "بالنسبة للشعوب الباحثة عن هوية..... فإن العدو ضروري"(٩١). ويعلل ذلك بقوله: "نحن لا نعرف من نكون إلا عندما نعرف (من ليس نحن)، وذلك يتم غالبا عندما نعرف (نحن ضد من)"(٩٢). ويقول إنجمار كارلسون في ذلك: "لقد أصبح استمرار [فكرة الخطر الخارجي الشامل] .... عنصرا لازما لتقوية الهوية الأوربية التي يعتريها الوهن والضعف"(٩٣). وهو ما يؤكد عليه ديبون(٩٤)على لسان أحد شخوص روايته البحيرة الميتة بقوله: "إن لم نكره ما ليس نحن، فلن يمكننا أن نحب ما هو نحن"(٩٥).
- خامسا: صناعة العداوة مع الشعوب الأخرى بارتكاب كل أنواع الأفعال غير العادلة والقاسية ضد الشعوب الأخرى، ليستثيروا بداخلهم العداوة ضد شعبهم، ثم يستغلون هذه العداوة في استثارة عداوة شعبهم هم ثانية(٩٦). ومع صرخات الثأر والفخر تتهيج المشاعر وتتغيب العقول وتترسخ الدوغمائية الوطنية.

---

(٩٠) و"الولاء للمتعارف عليه يعني انعدام التفكير، بل انعدام الحاجة إلى التفكير، الولاء هو عدم الوعي!". George Orwell, 1984, P.67. ولطالما كان الوصف بالولاء هو المكافأة لمن يتنازل عن حقه في التفكير.

(٩١) صامويل هنتنجتون: صراع الحضارات: ص ٣٧.

(٩٢) السابق، ص ٣٩.

(٩٣) إنجمار كارلسون: الإسلام وأوروربا: تعايش أم مجابهة، ص ٢٩. وانظر د. صلاح قنصوة: مقدمة ترجمة كتاب هنتنجتون "صراع الحضارات"، ص ٢٧.

(٩٤) روائي فينيسي نسبة لفينيسيا.

(٩٥) صامويل هنتنجتون: السابق، ص ٣٦. وانظر الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص١٧٤: ١٧٥.

(٩٦) انظر تولستوي: السابق، ص٢٣.

- سادسا: مخاطبة العقل الباطن والتسلل إلى اللاوعي وتزيين الوطنية له: بإحاطة الأوطان بهالة سحرية قدسية تستحي العقول من النظر إليها[٩٧] فيسخر لذلك الدين فيقال: "حب الأوطان من الإيمان"[٩٨] بل قد يزعم بعض العوام أن ذلك مرويا عن النبي عليه الصلاة والسلام، ولا علاقة بين حب الأوطان والإيمان؛ فمحبي أوطانهم على اختلافهم في رابطة المواطنة المعتبرة لديهم لا ينتمون لنوع واحد من الإيمان، كما تسخر لذلك الأناشيد والأشعار[٩٩] كالنشيد الوطني الذي يقصر حب الوطنيّ على بلاده، ويجعل الوطن غاية مراده! يقول محمد يونس القاضي: (بلادي بلادي بلادي .. لكِ حبي وفؤادي.. مصر يا أم البلاد.. أنتِ غايتي والمراد). وفي هذا الاتجاه الغالي سار شوقي حين قال: (وطَني لَو شغِلتُ بِالخلدِ عَنهُ** نازَعَتني إِلَيهِ في الخلدِ نَفسي)[١٠٠]. وحين جعل الوطن وثنا معبودا فقال: (وجه الكنانةِ ليس يُغضب ربَّكم*** أن تجعلوه كوجهه معبودا... ولُّوا إليه في الدروس وجوهَكم*** وإذا فرغتم، فاعبدوه هُجودا)[١٠١].
- سابعا: إعلان الوصاية على المواطن وحجب كل الآراء المعارضة للعصبية الوطنية؛ يقول د. السيد أبو النجا[١٠٢]: "لا بد إذن ما دام في جمهورنا من لا يستطيع أن يحكم حكما صحيحا على ما يقرأ أن نكون أوصياء عليه. لابد أن نجنبه هذه الصحف وهذه الأقلام التي نرى فيها خطرا على ثقافته وعلى وطنيته"[١٠٣].
- ثامنا: استغلال الطفولة؛ يقول د. حسن الساعاتي: "يقولون إن القومية دين القرن العشرين، نؤمن بها دون تردد أو تشكك؛ لأننا نبدأ في الإيمان بها منذ طفولتنا المبكرة ونلقنها تلقينا. ولذلك كان علينا نحن المربين .....مسؤولية كبرى نحو النشء ونحو الشباب، علينا أن نلهب فيهم الشعور بالقومية. ومن اليسير علينا أن نوجد فيهم أو أن نخلق فيهم الشعور بالقومية؛ لأن ذلك يأتي مبكرا جدا، فالتعلم في

(٩٧) وفي ذلك يقول ابن الزبير: "ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم". الجاحظ: رسائل الجاحظ ٤/ ١١٠.

(٩٨) لم أجده لا بهذه الصيغة ولا بأي صيغة تؤدي نفس المعنى في كتب السنة.

(٩٩) كثيرا ما تنخدع النفس فتظن أن الصياغة اللغوية الجميلة لعبارة تمثل برهانا على معناها. ويشير إلى هذا الوهم سفر الأمثال بقوله "عذوبة المنطق تزيد من قوة الإقناع". ١٦: ٢١. ويقول النبي ﷺ محذرا من ذلك: "إن من البيان لسحرا، أو إن بعض البيان سحر". رواه البخاري في باب "إن من البيان سحرا" من كتاب الطب.

(١٠٠) ديوان أحمد شوقي ٣٥٥/٢.

(١٠١) السابق، ١١٢/١.

(١٠٢) مدير جريدة المصري عام ١٩٤٣م.

(١٠٣) د. أبو النجا: طرائق الدعاية الحديثة التي يستخدمها الاستعمار ووسائل اتقائها، محاضرة ألقاها ضمن مؤتمر قادة التعبئة الوطنية بالإسكندرية في أغسطس ١٩٥٩م، ص٢٧٩.

الصغر كالنقش على الحجر"[١٠٤]. فالوطنية كما يصرح لا تقوم على الحجة والإقناع وإنما تقوم على التلقين في الصغر وخلق الشعور وإلهاب المشاعر!

ومن خلال كل ما سبق يكون العقل الجمعي للمواطنين قد تهيأ ليرى الوطنية كما يقول تولستوي: "شعورا أخلاقيا رفيعا، وإدانتها ليست فقط أمرا غير عقلاني، بل إنها جريمة مكتملة الأركان. أما طبيعة هذه الوطنية ... الطيبة فلا يذكرون عنها شيئا على الإطلاق، أو أنهم بدلا من التوضيح ينطقون بعبارات منمقة طنانة، أو يستبدلون الوطنية بشعور آخر لا يشبه الوطنية في شيء في حقيقة الأمر؛ تلك الوطنية التي نعرفها جيدا، والتي نُعاني منها بقسوة شديدة"[١٠٥].

ولعل أبرز ضحايا هذه **الوطنيات المحدودة** هؤلاء الذين فقدوا أوطانهم ولما يقبلهم وطن جديد[١٠٦] فعاشوا مطاردين من السلطات الوطنية في كل وطن يذهبون إليه؛ معرضين لكل أنواع الاستغلال من المواطنين، فإن أنعمت عليهم سلطة وطنية وتركتهم على أرضها حرمتهم من المزايا التي يتمتع بها غيرهم من المواطنين ولقبتهم بالـ (بدون) وهي لفظة جامعة لكل معاني الفقد، فهم بدون أوطان وبدون حقوق مواطنة[١٠٧]!

## المبحث الثالث: الدولة الوطنية المنشودة.

**لا يمكن لحكومة واحدة أن تحكم العالم أجمع حكما مباشرا**، إن الحكومة العالمية متى وجدت لا تستغني عن تفويض حكومات محلية لها صلاحيات حقيقية للحكم. فالحكومات المحلية ضرورة يفرضها الواقع، وهو ما يستدعي وضع حدود للوطن تنتهي فيها سلطة حكومة محلية لتبدأ سلطة حكومة أخرى مجاورة. ولا إشكال في ذلك، بل هو أمر طبعي شريطة أن يقوم على العدل في اقتسام ثروات الأرض بين سكان الأرض، والتعامل بين الدول على اعتبار أن جميع سكان الأرض متساوون في حق الانتقال والإقامة والعمل

(١٠٤) د. الساعاتي: أسس المجتمع العربي، محاضرة ألقاها ضمن مؤتمر قادة التعبئة الوطنية بالإسكندرية في أغسطس ١٩٥٩م، ص١٥٩.

(١٠٥) تولستوي: السابق، ص ١٣: ١٤.

(١٠٦) فبعض الأنظمة الحاكمة تنهج نهج إسقاط عضوية المواطنة كوسيلة للخلاص من المعارضين. هذا فضلا عن أن الافتقار إلى قواعد موحدة بشأن اكتساب الجنسية وفقدانها أدى في بعض الأحيان إلى انعدام الجنسية: فبعض الدول تمنح حق المواطنة بالمولد على أرضها وبعضها يمنحها بحسب جنسية الأب، فإذا ولد طفل من أبوين من دولة ترى أن منح الجنسية يتبع موضع الميلاد في دولة ترى أن منح الجنسية يتبع جنسية الأب، هنا يفقد هذا المولود جنسية كلا البلدين ويصبح من البدون. وبعض الدول تمنح الجنسية وتسقطها بناء على جنسية الزوج، وبعض الدول لا تتبع هذا القانون؛ فإذا تزوجت امرأة من رجل أجنبي وأسقطت دولتها عنها الجنسية قد لا تمنحها دولة زوجها الجنسية البديلة فتبقى بدون جنسية.

انظر: https://www.britannica.com/search?query=citizenship

(١٠٧) مرَّ مفهوم المواطنة عبر التاريخ، بتطور أفقى سار فى اتجاه توسيع قاعدة المواطنة من الأقلية الأرستقراطية إلى شمول طبقات أخرى تدريجيًا، ورغم كل المواثيق الدولية وإعلانات حقوق الإنسان المعاصرة يظل البدون يمثلون تحديا أمام الإنسانية إلى يومنا هذا.

والمشاركة السياسية في أي مكان يتواجدون فيه على وجه الأرض، دون نظر لدين، أو جنس، أو عرق، أو قومية، أو وطنية...الخ.

وهو ما يؤكد عليه القرآن عندما أمر بالسير في الأرض باعتبارها وطنا لكل إنسان في كثير من الآيات وبأساليب متنوعة كقوله تعالى: "سِيرُوا فِي الْأَرْضِ"(١٠٨) "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ"(١٠٩) "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ"(١١٠) "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ"(١١١)؛ بل توعد من تقاعس عن السير للبحث عن فرص الحياة الأفضل والتي تمكن الإنسان من أن يؤدي دوره في الخلافة وعمارة الأرض وإصلاحها؛ يقول تعالى في ذلك: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"(١١٢). فأسماها "أرض الله" ولم ينسبها لقوم دون غيرهم. وهو ما يؤكد عليه الكتاب المقدس كذلك؛ يقول سفر المزامير: "السَّمَاوَاتُ سَمَاوَاتٌ لِلرَّبِّ، أَمَّا الأَرْضُ فَأَعْطَاهَا لِبَنِي آدَمَ"(١١٣).

وهذا العدل في اقتسام ثروات الأرض بين سكان الأرض يؤكد عليه النبي ρ في نصوص كثيرة مثل قوله: "ثلاث لا يمنعن الماء والكلأ والنار"(١١٤)، وعن عائشة أنها قالت: "يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال الماء والملح والنار"(١١٥). وهي عناصر تشمل كل ما هو ضروري للإنسان ولا يمكنه الاستغناء عنه من جهة، ومن جهة أخرى وهي الأهم (لا فضل لأحد في امتلاكه)(١١٦).

ولا شك أن مبدأ أن "العمل هو أساس الملكية" والذي نادى به جون لوك وجان جاك رسّو وغيرهم يدعم مبدأ (المشاركة في ثروات الأرض التي لا فضل لإنسان في وجودها): كالمعادن والبترول والماء والغابات.... الخ. يقول جون لوك: "الأرض وكل ما عليها من المخلوقات الدنيا ملك مشترك بين البشر، إلا أن لكل امرئ حق (امتلاك شخصه) وهو حق لا ينازعه فيه منازع؛ كذلك نتاج كدحه وعمل يديه يمكن إسنادهما إليه وحده. وكل ما ينتزعه من الحال التي أوجدته الطبيعة وتركته عليها، فقد اختلط به جهده وانضاف إليه شيء من ذاته فهو إذن ملك له. إذ لما كان قد انتزع من الحال العامة التي خلفته الطبيعة عليها فقد لحق به من جرّاء عمله شيء يبطل حق الآخرين المشترك بامتلاكه. فهذا (العمل) هو ملك العامل الذي

---

(١٠٨) الأنعام: ١١.

(١٠٩) الحج: ٤٦.

(١١٠) الروم: ٩.

(١١١) الجمعة: ١٠.

(١١٢) النساء: ٩٧.

(١١٣) المزمور١١٥: ١٦.

(١١٤) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ في سننه في كتاب الرهون باب المسلمون شركاء في ثلاث.

(١١٥) السابق نفس الموضع.

(١١٦) ولمزيد من التفصيلات انظر: الشوكاني: نيل الأوطار، كتاب إحياء الموات، باب الناس شركاء في ثلاث ٣٦٦/٥.

لا ينازع فيه، فلا يحق لأي امرئ سواه أن يطالب بما قد اختلط به، متى اختلط به، ولا سيما حيث يوجد منه مقدار كاف لا يختلف عنه جودة يمكن الآخرين أن ينتفعوا به بالاشتراك..... وقد حددت الطبيعة مقدار الملكية تحديدا عادلا إذ جعلته منوطا بمدى عمل الإنسان ومطالب حياته. ولما استحال أن يسخّر المرء أو يتملك كل شيء بجهده الخاص، واستحال أن تستنفذ مطالبه أكثر من جزء ضئيل من خيرات الأرض، استحال أن يعدو رجل على حقوق أقرانه ويكتسب ملكا ما يلحق الضرر جرّائه بجاره: ما دام قد تبقى له نصيب من الرزق بمثل الجودة والاتساع بعد تملك صاحبه لا يقل عن نصيبه ذلك قبل تملكه. وهذا القدر حصر ملكية كل امرئ وقصرها على نسبة ضئيلة ومكّنه من التملك دون الإساءة إلى من عداه"(١١٧). ويقول جان جاك رسو: "الهلاك يُكتب لكم إذا نسيتم أن الثمرات للجميع وأن الأرض ليست ملكا لأحد"(١١٨). ويعاود جان جاك رسّو التأكيد على فكرته وتفصيلها بقوله: "لابد من الشروط الآتية لإجازة حق المستولي الأول على أرض ما؛ وهي: أولا: ألا تكون هذه الأرض معمورة بأحد. ثانيا: ألا يستولي الإنسان منها على غير المقدار الضروري لعيشه. ثالثا: ألا تحاز بمظهر فارغ؛ بل بالعمل والحرث، أي بهذا الدليل الوحيد للتملك الذي يجب أن يحترمه الآخرون عند عدم وجود مستندات قانونية"(١١٩).

**إن المواطنة كاشتقاقها الصرفي "مفاعلة" أي مشاركة في الفاعلية والمفعولية**، بين أطراف أربعة: الحكومة، والمواطن، والعابر، والعالَم. فيكون كل طرف فاعلا في غيره مفعول به من غيره، وهذه المشاركة في الفاعلية والمفعولية تقتضي أن تقوم العلاقة بين هذه الأطراف الأربعة على العدل وما لا ينفك عنه من إحسان.

**ومن الطبعي أن يكون لكل إنسان تصوراته الخاصة، ولكل إنسان الحق في أن يحب وأن يعتز بكل ما يشعر بالانتماء له بصرف النظر عن أسباب هذا الشعور ومبرراته، إلا أن هذا الحب وهذا الاعتزاز يجب أن يكون حبا واعتزازا إيجابيًا** لا يعوق العدالة الإنسانية، والحق في اقتسام خيرات الأرض بين جميع سكان الأرض، لا هدر فيه لحقوق الآخرين ولا شعور معه بالاستعلاء عليهم أو كراهيتهم، وهذه الوطنية المنشودة المصحوبة بالحنين إلى الديار والأوطان أيا كان مفهومها يشفع لها قول النبي ρ: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد"(١٢٠). وقول النبي ρ لمكة المكرمة: "والله إنك، لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلَيَّ، والله لولا أني أُخرِجت منك، ما خرجت"(١٢١).

(١١٧) جون لوك: مقالتان في الحكم المدني، ص ١٥٣: ١٥٨.

(١١٨) رسّو: أصل التفاوت بين الناس، ص٥٧.

(١١٩) رسّو: العقد الاجتماعي، ص٤٥.

(١٢٠) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة، وفي كتاب مناقب الأنصار باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة، وفي كتاب المرضى باب عيادة النساء الرجال، وفي كتاب المرضى باب من دعا برفع الوباء والحمى.

(١٢١) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ في كتاب المناسك باب فضل مكة (حديث رقم: ٣١٠٨).

وعند ظهور تعارض بين الانتماءات البشرية المختلفة يجب عدم التنكر لأي منها وفي نفس الوقت نصرة كل منها الظالم والمظلوم: المظلوم بأخذ الحق له والظالم بأخذ الحق منه لا التنكر له فتلك نصرته وهو ما يبينه النبي ﷺ في قوله: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما قال تأخذ فوق يديه"(١٢٢). والأخوة هنا لم تقيد ومن ثمة تبقى بمعناها العام المطلق من كل قيد أي الأخوة في أي من الانتماءات المختلفة(١٢٣). ويقول تعالى في ذلك: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"(١٢٤). فلا فرق بين مواطن وغير مواطن؛ فكل إنسان يعد ممثلا للإنسانية كلها بصرف النظر عن وطنه ودينه وعرقه ولغته وثقافته ....إلخ.

إن الدولة الوطنية المحمودة تسعى لبناء الإنسان الصالح لا المواطن الصالح.

لقد نجحت بعض الدول المعاصرة في بلورة مفهوم للوطنية يمثل الوطنية المحمودة التي تجعل من حب الوطن قيمة تحقق أهدافا إنسانية عظمى لا علاقة لها بالمفاهيم الضيقة للوطنية؛ وهو ما يعبر عنه النشيد الوطني الأسترالي عندما يحث على بذل الجهد والعمل مع إعلاء شأن الحرية والبعد عن العصبية العرقية والقومية والدينية.... الخ من أجل رفعة بلد هو ملك لجميع سكانه (بما فيهم المهاجرين الجدد). يقول النشيد الوطني الأسترالي: "فلنبتهج جميعًا كأستراليين.. لأننا فتيان وأحرار.. لدينا تربة ذهبية وثروة نكدّ من

(١٢٢) رواه البخاري في صحيحه في باب "أعن أخاك ظالما أو مظلوما" من كتاب "المظالم".

(١٢٣) وليس هناك ما يمنع من وصف الكافر بالأخوة من وجهة النظر الإسلامية فكثيرا ما تصف النصوص الإسلامية المخالف في المعتقد بالأخوة، ومن ذلك: قوله تعالى:"كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ". الشعراء ١٠٥: ١٠٦. وقوله تعالى: "كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ". الشعراء ١٢٣: ١٢٤. وقوله تعالى: "كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ". الشعراء ١٤١: ١٤٢. وقوله تعالى:"كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ" الشعراء ١٦٠: ١٦١. وقوله:"وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ" ق: ١٣. بل يطلق النبي ﷺ هذا الوصف حتى على من حق عليه القول وأدخل النار؛ يقول ﷺ: "ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أُدخلوا النار". رواه النَّسائي في باب زيادة الإيمان من كتاب الإيمان، وابن ماجه في باب الإيمان من المقدمة، وأحمد في المسند، في مسند أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه. وهذا رسولنا ﷺ بعد فتح مكة؛ وأهلها يتوجّسون خيفة لما فعلوه به ﷺ وصحبه؛ يسألهم النبي ﷺ قائلا: "يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم؛ قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء". رواه ابن إسحاق في السيرة، وابن هشام: في السيرة النبوية؛ وابن القيم: في زاد المعاد. والطبري في التاريخ، وابن كثير في "البداية والنهاية"، كل في قصة فتح مكة، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة.. فنجده ﷺ هنا يقبل وصف الآخر في المعتقد بالأخوة؛ بل ويقيم ما يترتب على ذلك من حقوق الأخوة: من عفو ومسامحة.

(١٢٤) المائدة: ١٠.

أجلها..... سنكد بقلوبنا وسواعدنا لنجعل من هذا الكمنولث أكثر البلدان شهرة ولنتقاسم مع من جاءوا عبر البحار هذه السهول الشاسعة، ولنتكاتف بكل شجاعة لتتقدم أستراليا الجميلة"[١٢٥].

**وختاما أقول:**

- أيتها الوطنية الكريمة، كم من الجرائم ترتكب باسمك! فلقد غدت الوطنية ساحة للمزايدة لاستحواذ المزيد من المكاسب الفردية، فما عادت الوطنية شعورا، بل شعارا يرفعه كل من أراد أن يجلب الحمام إلى قفصه دون أقفاص الآخرين.. فالوطنية للفقراء والوطن للأغنياء! وهو ما يعبر عنه الشاعر معروف الرصافي بقوله:

لا يَخدعَنكَ هُتاف القومِ بالوَطَنِ*** فالقومُ في السرِّ غير القومِ في العَلَن

أحْبُولة الدِّين ركَّت من تقادمها*** فاعتاض عنها الورى أحبولة الوطن

فما لهم غير صيد المال من غرضٍ** في اليوم والغد والماضي من الزمن[١٢٦]

- إن الولاء السياسي الجدير بأن يعلو على كل ولاء: ينحصر عند كثيرين ممن يعتبرون أنفسهم وطنيين في (الولاء العمودي) أي الولاء للنظام السياسي للدولة. وينحصر عند آخرين ممن يعتبرون أنفسهم وطنيين في (الولاء الأفقي المحدود) أي الولاء لمصالح المواطنين في دولتهم فقط دون غيرهم. إن المواطنة التي نبشر بها لا ينحصر ولاؤها في جهة ولا تحدها حدود؛ فولاؤها للحق حيثما وجد، وللعدالة الإنسانية التي لا تفرق بين إنسان وآخر.
- الوطن هو عنوان الإنسان[١٢٧] لا هويته، يمكنه تركه والاستيطان في غيره. و"لكل إنسان بموجب الحق الطبعي أن يختار وطنه"[١٢٨]؛ بل إنها لإهانة للإنسان أن يكون حبيس موطن دون جريرة أو إثم.
- لقد تجاوز الفرد طور الفطرة ولم يعد مقبولا لفرد أن يستخدم قوته لإقرار ما يعتبره حقا له في ظل سلطة دولة القانون، ومن هنا ننادي بأن تتجاوز العلاقة بين الشعوب كذلك ومن باب أولى حالة الفطرة التي لم تعد لائقة بعصر القرية الكونية، وأن تنعم البشرية بالعيش في ظل عالم يتواضع على قانون

(125) Australians all let us rejoice, For we are young and free; We've golden soil and wealth for toil, ……. We'll toil with hearts and hands; To make this Commonwealth of ours Renowned of all the lands; For those who've come across the seas We've boundless plains to share; With courage let us all combine to advance Australia fair!

(١٢٦) ديوان معروف الرصافي، ص ٧٦١

(١٢٧) يقول ابن فارس: "الْوَطَنُ: مَحَلُّ الْإِنْسَانِ". ابن فارس: مقاييس اللغة مادة (و ط ن)، ١٢٠/٦.

(١٢٨) فولتير: السابق، ص٤٧.

واحد يفصل بين أفراده[١٢٩] ويعدل بينهم في اقتسام ثروات الأرض[١٣٠] بسلطة عالمية ملزمة، يتسع فيها مفهوم المواطنة (أفقيا) ليشمل كل سكان الأرض و(رأسيا) بتوسيع المشاركة فى صنع القرار السياسى وممارسة السلطة.

- إن قصة العدل والسلام في تاريخ الإنسان قصة طويلة وقصيرة في نفس الآن: طويلة في الزمان فقد بدأت مع وجود أول إنسان واستمرت حتى الآن، وقصيرة في قصتها؛ فلم يحقق فيها الإنسان حتى الآن تقدما مرئيا بالعيان يقصه اللسان؛ إلا أنّا نؤكد في الختام على أنه لا يصح أن يستنتج إنسان من أن فكرة لم تنجح حتى الآن أنها لن تنجح في قادم الزمان[١٣١].
- إن الإنسانية اليوم تقف في مرحلة حاسمة من تاريخ الأرض، مرحلة يتعين على كل الجماعات البشرية رغم اختلافاتها وخلافاتها أن تعي أن الإنسانية تشكل عائلة بشرية واحدة ومجتمع عالمي واحد ذو مصير مشترك، وأن كثيرا من مشكلاتنا اليوم عالمى في تأثيره، ولا ينجع علاجه إلا بإجماع دولي (أزمة الماء والغذاء، الحفاظ على طبقة الأوزون، الارتداد الحراري، الأمراض المعدية، التصحر، البدون، أسلحة الدمار الشامل، سباق التسلح، الجريمة العالمية، الإرهاب،....) وفي ظل غياب الاجماع المُلزم يتعين على البشرية وضع وتطوير استراتيجية عالمية شاملة يكون لها الإلزام الكافي لتحقيق المنافع المرجوة ومعالجة الأخطار المرقوبة.

(١٢٩) يقول كانت: "إن الكف عن الحرب ليس بضمان للسلام، وإذا لم يحصل جار من جاره على هذا الضمان –وهو ما لا يتيسر وقوعه إلا في وضع قانوني– فمن الجائز أن يعامل ذلك الجار معاملة من بينه وبينه عداوة". كانت: السابق، ص ٣٩.

(١٣٠) يقول فولتير: "المساواة هي أكثر الأمور طبعية وأكثرها خيالا جامحا في الوقت ذاته. بسبب أن البشر يُفْرِطون في كل شيء حينما يستطيعون ذلك، أصبح التفاوت مبالغا فيه". فولتير: السابق، ص١١٩.

(١٣١) يقول ماركوس أوريليوس: "لا تتصور أن ما هو صعب عليك تحقيقه هو مستحيل على أي إنسان، بل إذا كان شيء ممكنا للإنسان وملائما لطبيعته فاعتبره أيضا ممكنا لك وداخلا في نطاق قدرتك ومنالك".

ماركوس أوريليوس: السابق، الكتاب السادس، الفقرة (١٩) ص ٨٦.

## أهم المصادر والمراجع(١٣٢)


١. القرآن الكريم.
٢. الكتاب المقدس.
٣. أحمد شوقي: ديوان أحمد شوقي، د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت.
٤. الأخطل (غياث بن غوث بن طارقة أبو مالك)، ديوان الأخطل، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.
٥. أرسطوطاليس، السياسة، ترجمة: أحمد لطفي السيد، ط١، بيروت: منشورات الجمل، ٢٠٠٩م.
٦. ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي)، السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.
٧. أفلاطون: محاكمة سقراط (محاورات: أوطفرون، الدفاع، أقريطون)، ترجمة وتقديم د. عزت قرني، ط٢، القاهرة: دار قباء ٢٠٠١م
٨. الأكويني (توما)، الخلاصة اللاهوتية، ترجمة: بولس عواد، د.ط، بيروت: ١٨٦١م.
٩. الألباني (محمد ناصر الدين)، السلسلة الضعيفة والموضوعة، ط٥، الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٣م.
١٠. أوريليوس (ماركوس)، التأملات، ترجمة عادل مصطفى، د.ط، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م.
١١. د. إيمان الشحات عبد التواب، هالة سعد مطراوي: التحول الحضري نحو الكوزموبوليتانية وعلاقته بالاستبعاد الاجتماعي. جامعة كفر الشيخ، كلية الآداب، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية العدد ٢٦، يناير ٢٠٢٢م.
١٢. البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، د.ط، القاهرة: مطابع الشعب، د.ت.
١٣. تشومسكي (نعوم): النظام العالمي القديم والجديد، ترجمة د. عاطف معتمد عبد الحميد، ط١، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٧م.
١٤. تولستوي (ليف): في العلم والأخلاق والسياسة، ترجمة: يوسف نبيل، ط١، القاهرة: آفاق للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م.
١٥. الجاحظ (عبد السلام محمد هارون)، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م.
١٦. ابن حنبل (أحمد)، مسند أحمد بن حنبل، د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت.
١٧. حميد الله (محمد)، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٦، بيروت: دار النفائس، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١٨. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، ط٢، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٦م.


(١٣٢) نظمت المصادر والمراجع فيما يلي حسب الترتيب الألفبائي للاسم الذي اشتهر به المؤلف مع صرف النظر عن (ابن، أبو، ال). وقد استخدمت الرموز التالية للدلالة على غير الموجود من بيانات النشر: د.ط= بدون طبعة. د.م= بدون مكان نشر. د.ن= بدون ناشر. د.ت= بدون تاريخ نشر.

١٩. أبو داود (سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني)، سنن أبي داود، تعليق أحمد سعد علي، ط١، القاهرة: طبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٢م.
٢٠. الرصافي (معروف)، ديوان معروف الرَّصافي، مراجعة مصطفى الغلاييني، د.ط، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م.
٢١. روسو (جان جاك)، أصل التفاوت بين البشر، ترجمة عادل زعيتر، د.ط، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣م.
٢٢. روسو (جان جاك)، العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر، د.ط، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣م.
٢٣. ابن الرومي: ديوان ابن الرومي، تحقيق: أحمد حسن بسج، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٢م.
٢٤. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
٢٥. الساعاتي (د. حسن): أسس المجتمع العربي، محاضرة ألقاها ضمن مؤتمر قادة التعبئة الوطنية بالإسكندرية في أغسطس ١٩٥٩م، منشورات (نقابة المهن التعليمية).
٢٦. شوبنهاور (آرثر)، فن العيش الحكيم، ترجمة: عبد الله زارو، ط١، الرباط: دار الأمان، ٢٠١٨م
٢٧. الشوكاني (محمد بن علي بن محمد)، نيل الأوطار، ط١، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، القاهرة: دار الحديث، مصر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٨. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، د.ط، كربلاء: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٢٩. عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، د.ط، سلسلة أعلام الفلسفة، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥م.
٣٠. العمار (د. هشام بن عبد العزيز): الكوزموبوليتانية: استقراء في المفهوم. جامعة أسيوط، كلية التجارة، المجلة العلمية لكلية التجارة، العدد ٧٦، ديسمبر ٢٠٢٢م.
٣١. غالي (د. بطرس): التفاهم العالمي والمنظمات الدولية، محاضرة ألقاها ضمن مؤتمر قادة التعبئة الوطنية بالإسكندرية في أغسطس ١٩٥٩م، منشورات (نقابة المهن التعليمية).
٣٢. غلاب (د. محمد): الفلسفة الإغريقية، ط٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو. د.ت.
٣٣. الفارابي (أبو نصر): آراء أهل المدينة الفاضلة، تقديم وتعليق: د. ألبير نصري نادر، ط٢، بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٠م.
٣٤. ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.
٣٥. فولتير: قاموس فولتير الفلسفي، ترجمة يوسف نبيل، د.ط، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي، ٢٠١٧م.
٣٦. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ١٩٩٤م.
٣٧. كارلسون (إنجمار)، الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣م.
٣٨. كانت: مشروع للسلام الدائم، ترجمة وتقديم: د. عثمان أمين، ط١، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٢م.
٣٩. ابن كثير (أبو الفداء الحافظ بن كثير)، البداية والنهاية، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرون، ط٥، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م.

٤٠. كريسون (أندريه)، رينان: حياته، آثاره، فلسفته؛ ترجمة: ميشال أبي فاضل، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧م.
٤١. الكفوي (أبو البقاء)، الكليات، تحقيق: د. عدنان درويش، محمد المصري، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.
٤٢. لوك (جون): مقالتان في الحكم المدني، ترجمة: ماجد فخري، د.ط، بيروت: اللجنة الدولية لترجمة الروائع- الأونسكو ١٩٥٩م.
٤٣. ابن ماجه (أبو عبد الله بن يزيد القزويني)، سنن ابن ماجه، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، القاهرة: ط عيسى البابي الحلبي، د.ت.
٤٤. ماركس، إنجلز: البيان الشيوعي، ترجمه وقارنه عن الألمانية: العفيف الأخضر، ط١، بيروت- بغداد: منشورات الجمل، مكتبة الفكر الجديد، ٢٠١٥م.
٤٥. ابن منظور (محمد بن مُكَرَّم المصري)، لسان العرب، ط١، بيروت: دار صادر، د. ت.
٤٦. أبو النجا (د. السيد): طرائق الدعاية الحديثة التي يستخدمها الاستعمار ووسائل اتقائها، محاضرة ألقاها ضمن مؤتمر قادة التعبئة الوطنية بالإسكندرية في أغسطس ١٩٥٩م، منشورات (نقابة المهن التعليمية).
٤٧. الندوي (السيد أبو الحسن علي الحسيني): ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط٢، القاهرة: دار الكتاب العربي ١٩٥١م.
٤٨. النسائي (أبو عبد الرحمن بن شعيب بن علي)، سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غده، ط٢، بيروت: د. ن، ١٩٨٦م.
٤٩. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، د.ط، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، د.ت.
٥٠. هنتنجتون (صامويل)، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم د. صلاح قنصوة، ط٢، القاهرة: شركة سطور، ١٩٩٩م.
٥١. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ط٣، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٣م.
52. George Orwell, 1984, M.K,Puplishing Distribution, 2016.
53. https://www.britannica.com/search?query=citizenship تم الرجوع له بتاريخ ٢٠٢١/٢/١٧م
54. https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/2015/09/%D9%82%D8%A7%D8%AF%D8%A9 تم الرجوع له بتاريخ ٢٠٢٢ /١٢/١٧

## Sources and references in English


1. The Holy Quran.
2. The Bible.
3. Ahmed Shawqi: Diwan Ahmed Shawqi, Beirut: Dar Sader.
4. Al-Akhtal (Ghayath ibin Ghouth ibin Tariqa Abu Malik), Diwan Al-Akhtal, edited by: Mahdi Muhammad Nasser Al-Din, 2nd edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1994 AD.
5. Aristotle, Politics, translated by: Ahmed Lutfi Al-Sayyid, 1st edition, Beirut: Al-Jamal Publications, 2009 AD.
6. Ibn Ishaq (Muhammad ibin Ishaq ibin Yasar al-Muttalabi), The Biography of the Prophet, edited by: Ahmed Farid al-Mazidi, 1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2004 AD.
7. Plato: The Trial of Socrates (Dialogues: euthyphro, apology, Crito), translated and presented by Dr. Ezzat Qarni, 2nd edition, Cairo: Dar Qubaa, 2001 AD.
8. Aquinas (Thomas), Summa Theologiae, translated by: Boulos Awad, Beirut: 1861 AD.
9. Al-Albani (Muhammad Nasser al-Din), The Weak and Fabricated Silsila, 5th edition, Riyadh: Al-Ma'rif Library, 1993 AD.
10. Aurelius (Marcus), Meditations, translated by Adel Mustafa, United Kingdom: Hindawi Foundation, 2017 AD.
11. D. Iman Al-Shahat Abdel Tawab, Hala Saad Matrawi: Urban transformation towards cosmopolitanism and its relationship to social exclusion. Kafrelsheikh University, Faculty of Arts, Journal of Humanitarian and Literary Studies, Issue 26, January 2022.
12. Al-Bukhari (Abu Abdullah Muhammad ibin Ismail), Sahih Al-Bukhari, Cairo: Al-Shaab Press.
13. Chomsky (Noam): The Old and New World Order, translated by Dr. Atef Motamed Abdel Hamid, 1st edition, Cairo: Nahdet Misr, 2007 AD.
14. Tolstoy (Leaf): On Science, Ethics, and Politics, translated by: Youssef Nabil, 1st edition, Cairo: Afaq Publishing and Distribution, 2019 AD.
15. Al-Jahiz (Abdul Salam Muhammad Haroun), Letters of Al-Jahiz, edited by: Abd al-Salam Haroun, 1st edition, Beirut: Dar Al-Jeel, 1991 AD.
16. Ibn Hanbal (Ahmad), Musnad Ahmad Ibn Hanbal, Beirut: Dar Sader.

17. Hamidullah (Muhammad), Collection of Political Documents of the Prophet's Era and the Rightly Guided Caliphate, 6th edition, Beirut: Dar Al-Nafais, 1407 AH, 1987 AD.
18. Ibn Khaldun (Abdul Rahman bin Muhammad), Muqadimat Ibn Khaldun, edited by: Dr. Ali Abdel Wahed Wafi, 2nd edition, Family Library, Cairo, 2006 AD.
19. Abu Dawud (Suleiman ibin Al-Ash'ath Al-Azdi Al-Sijistani), Sunan Abi Dawud, Commentary by Ahmed Saad Ali, 1st edition, Cairo: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Edition, 1952 AD.
20. Al-Rusafi (Ma'rouf), Diwan Ma'ruf Al-Rusafi, reviewed by Mustafa Al-Ghalayini, United Kingdom: Hindawi Foundation, 2014 AD.
21. Rousseau (Jean-Jacques), The Origin of Inequality among Human Beings, translated by Adel Zuaiter, United Kingdom: Hindawi Foundation, 2013 AD.
22. Rousseau (Jean-Jacques), The Social Contract, translated by Adel Zuaiter, United Kingdom: Hindawi Foundation, 2013 AD.
23. Ibn al-Rumi: The Diwan of Ibn al-Rumi, edited by: Ahmed Hassan Basaj, 3rd edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2002 AD.
24. Al-Zamakhshari (Abu al-Qasim Mahmoud ibin Amr): The Basis of Rhetoric, edited by: Muhammad Basil Uyun al-soud, 1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1998 AD.
25. Al-Saati (Dr. Hassan): The Foundations of Arab Society, a lecture he gave at the National Mobilization Leaders Conference in Alexandria in August 1959, publications of the Educational Professions Syndicate.
26. Schopenhauer (Arthur), The Art of Wise Living, translated by: Abdullah Zaro, 1st edition, Al Ribat: Dar Al-Aman, 2018 AD.
27. Al-Shawkani (Muhammad ibin Ali ibin Muhammad), Nil Al-Awtar, 1st edition, edited by: Essam Al-Din Al-Sababti, Cairo: Dar Al-Hadith, Egypt, 1413 AH - 1993 AD.
28. Al-Tabari (Abu Jaafar Muhammad ibin Jarir), History of Nations and Kings, Karbala: Al-Alami Publications Foundation.
29. Othman Amin: Stoic Philosophy, Series of Philosophy Figures, Cairo: Authorship, Translation and Publishing Committee Press, 1945 AD.
30. Al-Ammar (Dr. Hisham ibin Abdul Aziz): Cosmopolitanism: An extrapolation of the concept. Assiut University, Faculty of Commerce, Scientific Journal of the Faculty of Commerce, Issue 76, December 2022.

31. Ghali (Dr. Boutros): Global Understanding and International Organizations, a lecture he gave at the National Mobilization Leaders Conference in Alexandria in August 1959, publications of the Educational Professions Syndicate.
32. Ghallab (Dr. Muhammad): Greek Philosophy, 2nd edition, Cairo: Anglo Library.
33. Al-Farabi (Abu Nasr): Opinions of the People of the Virtuous City, presented and commented by: Dr. Alber Nasri Nader, 2nd edition, Beirut: Dar Al-Mashreq, 2000 AD.
34. Ibn Faris (Ahmad ibn Faris ibn Zakaria al-Qazwini al-Razi), Dictionary of Language Standards, edited by: Abd al-Salam Muhammad Haroun, Beirut: Dar al-Fikr, 1979 AD.
35. Voltaire: Voltaire's Philosophical Dictionary, translated by Youssef Nabil, United Kingdom: Hindawi CIC Foundation, 2017 AD.
36. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Zad al-Ma'ad fi Huda Khair al-Ibbad, Beirut: Al-Risala Foundation, Kuwait: Al-Manar Islamic Library, 1994 AD.
37. Carlson (Ingemar), Islam and Europe: Coexistence or Confrontation, 1st edition, Cairo: Shorouk International Library, 2003 AD.
38. Kant: A Project for Permanent Peace, translated and presented by: Dr. Othman Amin, 1st edition, Cairo: Anglo-Egyptian Library, 1952 AD.
39. Ibn Kathir (Abu al-Fida al-Hafiz ibn Kathir), The Beginning and the End, edited by Dr. Ahmed Abu Melhem and others, 5th edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1989 AD.
40. Cresson (André), Renan: his life, effects, philosophy; Translated by: Michel Abi Fadel, 1st edition, Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing, 1977 AD.
41. Al-Kafawi (Abu Al-Baqa), Al-Kulliyyat, edited by: Dr. Adnan Darwish, Muhammad Al-Masry, 2nd edition, Beirut: Al-Resala Foundation, 1993 AD.
42. Locke (John): Two Essays on Civil Government, translated by: Majid Fakhri, Beirut: International Committee for the Translation of Masterpieces - UNESCO, 1959 AD.
43. Ibn Majah (Abu Abdullah ibin Yazid al-Qazwini), Sunan Ibn Majah, edited and commented by: Muhammad Fouad Abdel Baqi, Cairo: Issa al-Babi al-Halabi.

44. Marx, Engels: The Communist Manifesto, translated and compared from the German: Al-Afif Al-Akhdar, 1st edition, Beirut-Baghdad: Al-Jamal Publications, Maktabet Al fekr Al gadeed,2015 AD.
45. Ibn Manzur (Muhammad ibin Mukarram al-Masry), Lisan al-Arab, 1st edition, Beirut: Dar Sader.
46. Abu Al-Naga (Dr. Al-Sayed): Modern propaganda methods used by colonialism and means of preventing it, a lecture he gave at the National Mobilization Leaders Conference in Alexandria in August 1959, publications of the Educational Professions Syndicate.
47. Al-Nadawi (Al Sayyid Abu Al-Hasan Ali Al-Husseini): What did the world lose due to the decline of Muslims, 2nd edition, Cairo: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1951 AD.
48. Al-Nasa'i (Abu Abdul Rahman ibin Shuaib ebin Ali), Sunan Al-Nasa'i, edited by: Abdel Fattah Abu Ghudah, 2nd edition, Beirut, 1986 AD.
49. Ibn Hisham, The Biography of the Prophet, edited by: Mustafa al-Saqqa, Ibrahim al-Ibiari, Abd al-Hafiz Shalabi, Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons Press in Egypt.
50. Huntington (Samuel), The Clash of Civilizations, Remaking the World Order, translated by Talaat Al-Shayeb, presented by Dr. Salah Qanswa, 2nd edition, Cairo: Sutour Company, 1999.
51. Youssef Karam: History of Greek Philosophy, 3rd edition, Cairo: Authorship, Translation and Publishing Committee, 1953 AD.
52. George Orwell, 1984, M.K,Puplishing Distribution, 2016.
53. https://www.britannica.com/search?query=citizenship
54. https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/2015/09/%D9%82%D8%A7%D8%AF%D8%A9